المدرسة العليا للأساتذة - الرباط

جامعة محمد الخامس بالرباط
Université Mohammed V de Rabat

بحث لنيل شهادة الإجازة التربوية:

مسلك ديداكتيكية النص الأدبي واللغوي

حول موضوع:

دراسة تحليلية تطبيقية لكتاب: "بناء الجملة العربية"

للدكتور محمد حماسة عبداللطيف



إنجاز الطالـب:

عبدالإلاه القاضي

إشراف الأستـاذ:

محمد اليملاحـي

السنة الجامعية:

2017 - 2016

إهــــداء

إلى من أنار دربي وسكن قلبي، إلى من ضحى بالغالي والنفيس لأجلي

إلى الغالي أبي

إلى نبع الحنان ومصدر الأمان، إلى من تحت قدميها الجنان، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أمي العزيزة

إلى أميرتي الصغيرة وجوهرتي المنيرة

أختي الحبيبة

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، وأخص بالذكر هنا الأستاذ المشرف محمد اليملاحي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته النيرة ومساعدته القيمة التي كانت سندا معينا في إنجاز هذا البحث

إلى روح أستاذي في ظهر الغيب محمد حماسة عبداللطيف

إلى أساتذتي الكرام، إلى أصدقائي ورفقاء دربي في العلم والمعرفة بالمدرسة العليا للأساتذة وخارجها

إلى كل طالب علم حيثما كان

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي*

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

صدق الله العظيم

مقـدمــــة:

جاء هذا البحث في سياق إعدادي لنيل شهادة الإجازة في المسلك الجامعي للتربية: ديداكتيكية النص الأدبي واللغوي بالمدرسة العليا للأساتذة التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، تحت إشراف أستاذ اللغة والبلاغة "محمد اليملاحي".

وبما أن الجملة تعتبر مدار الدراسة النحوية، وأهم عنصر تناوله الدارسون منذ سيبويه (ت180هـ) بالتحليل والتفسير، فإن كتاب " بناء الجملة العربية " للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف من بين الكتب القلائل التي تبرز طريقة تناول القدماء لهذا العنصر اللغوي، وفي نفس الآن تحاول تأصيل الجهود اللسانية المعاصرة، فهو بذلك دراسة للقديم على ضوء الجديد.

وعليه فقد اِخترت القيام بدراسة تحليلية تطبيقية لهذا الكتاب للمسوغات التالية:

- المحتوى القيم للكتاب الذي يعتبر تصورا جديدا في الدراسة النحوية؛
- مكانة الكتاب العلمية بإعتباره كان مقررا على طلبة مسلك التبريز بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط؛
- الأفكار الجديدة التي قدمها صاحبه في تحليل النصوص الأدبية وربطه النحو بالمعنى؛
- الرغبة في معالجة قصور تدريس النحو في السلك الثانوي التأهيلي؛
- ضرورة الاِستفادة من هذه الأفكار في تدريس نصوص مقرر اللغة العربية بمسلك الآداب.

وتمحورت إشكالية هذه الدراسة في الحقل الاِستفهامي التالي: كيف درس د. حماسة بناء الجملة العربية؟ وما الخلفية الفكرية التي اِعتمدها في هذه الدراسة؟ كيف عالج علاقة البناء التركيبي للجملة بالمعنى المقصود منها؟ وهل يمكن اِستثمار معطيات الكتاب في تدريس اللغة العربية؟ وكيف يمكننا من خلالها تجاوز قصور تدريس الدرس النحوي بالتعليم الثانوي التأهيلي خاصة بمسلك الآداب؟ وهل هناك من سبيل لجعل الدرس النحوي بالكتاب المدرسي أكثر وظيفية؟

سأحاول معالجة هذه الإشكالية وفق خطة وتصميم يقوم على: مدخل عام يضم التعريف بالكاتب أولا ثم تحديد موضوع هذا الكتاب وتبيان موقعه من مؤلفات الكاتب وبعض المؤلفات ذات الصلة بالموضوع لكتاب آخرين... هذا وينضاف إلى ذلك بابان، الباب الأول متعلق بالدراسة التحليلية سأعرض فيه محتوى فصول الكتاب بتفصيل وسأحاول من خلال ذلك توضيح بعض المصطلحات وإضافة بعض المعطيات التي لم يستوفها الكاتب بالشرح والتحليل، وسأقدم عن كل فصل خلاصة تركيبية وأخرى شاملة لجميع الفصول، وبذلك فالباب هنا ينقسم إلى:

مدخل؛

الفصل الأول: الجملة وعناصر بنائها؛

الفصل الثاني: ترابط أجزاء الجملة ووسائله؛

الفصل الثالث: عوارض بناء الجملة؛

الفصل الرابع: بناء الجملة في الشعر القديم؛

تركيب عام.

وجدير بالذكر أن كل فصل من هذه الفصول ينقسم بدوره إلى العديد من المباحث سنشير لها بداية كل باب.

وأخيرا الباب الثاني مخصص للدراسة التطبيقية؛ حيث يتماشى مع طبيعة التكوين داخل المدرسة للعليا للأساتذة، لذلك سأقوم فيه بتبيان المنهج المعتمد في الكتاب وإستراتيجية الكاتب في عرض محتوى المؤلَّف، ثم سأبرز دور اللسانيات التطبيقية في ميدان التدريس وعلاقتها بالديداكتيك مشيرا في نفس الآن إلى قصور تدريس النحو بمستوى التعليم الثانوي التأهيلي مسلكا الآداب والعلوم الإنسانية، وأهمية جعل الدرس النحوي درسا وظيفيا بتحليل نماذج شعرية من الكتاب المدرسي عن طريق دراسة طول بناء الجملة، ودور هذا البناء في تمكين القصيدة العمودية – مثلا – من جرس القافية وإمكانية إدراج ذلك في القراءة المنهجية، وينقسم هذا الباب بدوره إلى فصلين رئيسيين:

الفصل الأول: المنهج المعتمد في الكتاب؛

الفصل الثاني: الأبعاد التجريبية للكتاب.

وقد اِتبعت في هذه الدراسة منهجين هما: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ حيث اِعتمدت المنهج الوصفي في وصف محتوى الكتاب، ثم المنهج التحليلي عن طريق تحليل بعض العناصر في

عرض الفصول، وتحليلي لمنهج الكاتب في المؤلف، فضلا عن تحليلي لبعض القصائد من الكتاب المدرسي لإبراز مدى أهمية المعطى التركيبي في قراءة النصوص وتدريسها...

وفي إنجازي للبحث شأني شأن باقي الطلبة واجهتني بعض الصعوبات أهمها عدم توفر الكتاب قيد الدرس بالمكتبات المغربية؛ فاِعتمدت في البداية على نسخة معارة من مكتبة ملحقة المدرسة العليا للأساتذة إلى أن أهداني الأستاذ المشرف "محمد اليملاحي" مشكورا نسخة من الكتاب جلبها له أحد أصدقائه من المعرض الدولي للكتاب بالقاهرة (موسم 2017)، وثاني هذه الصعوبات هي تداخل لغة الكاتب ولغة النحاة القدامى الجزلة فضلا عن خوض الكاتب أحيانا في التفصيل في بعض العناصر الثانوية... وقد تم تجاوز ذلك بتوجيه الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علي بإرشاداته القيمة.

ومهما يكن من أمر فإنني أرجو أن يكون هذا البحث دعوة إلى التفكير في اِستثمار دراسة بناء الجملة في التعليم الثانوي التأهيلي بِاعتباره نموذجا لحل مشكل وظيفية الدرس النحوي بإدراجه في تحليل النصوص هذا فضلا عن تجاوز القصور الذي يعرفه هذا الدرس خاصة في المسالك الأدبية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فإن توفقت فذاك هو القصد، وإلا فحسبي أنني حاولت.

مدخل عام للدراسة :

تعتبر الجملة مدار علم النحو ومجال عمله الأساسي، يقول د. عبده الراجحي في كتابه التطبيق النحوي: " الجملة ميدان علم النحو؛ لأنه العلم الذي يدرس الكلمات في علاقة بعضها ببعض. "[1] ولم يرد – في نظري – أي قول عكس ذلك إلا من كان يتحدث عن نحو الجملة في مقابل نحو النص متناسيا أو ناسيا أن النص لا يمكن إخراجه عن هذه الدائرة مادام عبارة عن متواليات من الجمل؛ أي عبر تراصف الجمل مع بعضها البعض بشكل علائقي... ومهما يكن من أمر فإننا نجد علماء اللغة – قديمهم وحديثهم– قد اِهتموا بهذا العنصر وأولوه العناية الفائقة، فالقدماء من النحاة الذين كانوا ملمين بهذا المفهوم من الناحية الاِصطلاحية، خصصوا له جزءا مهما من كتبهم، ولا يعني هذا أن النحاة الذين لم يكن لهم حظ في التعرف على المعنى الاِصطلاحي للفظ الجملة لم يتحدثوا عنه، بل عبروا عنه بمرادفات كالكلام والقول والإسناد...[2] ولكن لم تستوفي هذه المصطلحات الشروط التي يقتضيها مصطلح الجملة، هذا من جهة، من جهة ثانية نجد العلماء المحدثين أيضا قد اِهتموا بهذا المصطلح ونذكر منهم: "تمام حسان"، و"عبد الرحمان أيوب" في كتابه " دراسات نقدية في النحو العربي " وغيرهم من الدارسين الوصفيين[3].

وعليه فليس من الغريب العثور على مؤلفات في علم النحو تعالج هذا المعطى بل وقد تضمه في عناوينها ونخص هنا بالذكر كتاب " بناء الجملة العربية " للدكتور محمد حماسة عبداللطيف – رحمه الله– وهو من الكتب التي حاولت دراسة بناء الجملة وتركيبها في اللغة العربية، وسنقوم بتحديد طبيعة موضوع هذا الكتاب وموقعه من مؤلفات الكاتب والمؤلفات ذات الصلة في الفقرات الموالية، وسنستهل ذلك بتعرف الكاتب ثم دراسة العنوان.

أ- التعريف بالكاتب:

يعتبر الدكتور محمد حماسة عبداللطيف رفاعي من بين الباحثين الذين ساهموا في إحياء النحو العربي وتجديده وذلك عن طريق ربطه بالمعنى والدلالة، ولعل هذه الرغبة في تجديد النحو لدى الدكتور حماسة لم تأت اِعتباطا، بل لها مسوغات عدة خاصة تلك المرتبطة بطبيعة التكوين الذي تلقاه منذ صغره، فقد ولد سنة 1941م بمحافظة المنوفية شمال مصر وتحديدا بقرية " كفر صراوة"؛ حيث حفظ د. حماسة القرآن الكريم قبل بلوغه الحادية عشرة من عمره على يد والده الذي كان إماما وخطيبا بمسجد القرية، ثم اِلتحق بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة؛ إذ تتلمذ على يد العديد من العلماء والمشايخ الأجلاء حتى يتمكن من الاِلتحاق بكلية الأزهر الشريف بالقاهرة، غير أن الأقدار شاءت غير ذلك؛ حيث اِلتحق الدكتور حماسة وتشجيعاً من "عباس محمود العقاد" بكلية دار العلوم المتخصصة في اللغة العربية

[1] - عبده الراجحي،التطبيق النحوي، ص:13

[2] - من بين النحاة الذين لم يعرفوا مصطلح الجملة نذكر : الخليل (ت175 هـ)، سيبويه (ت180 هـ)، في المقابل هناك من عرف هذا المصطلح لكنه كان مرافا لديه للكلام ومنهم : ابن جني (ت392 هـ)، الزمخشري (ت538 هـ)، اما المفرقين بين هذا المصطلح فهم :الرضى(ت686هـ)، ابن هشام (ت 761 هـ)

[3] - يزيد سالم، جهود الدارسين المحدثين في دراسة الجملة العربية، ص:63 فما بعدها

وعلومها، فبحلول سنة 1967م حصل على الإجازة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ليعين بذلك معيداً بقسم النحو الصرف، ثم حصل على الماجيستير سنة 1972م ثم الدكتوراه بنفس الكلية تخصص النحو والصرف والعروض تحت إشراف الدكتورين: " تمام حسان " و" أمين السيد " في موضوع: " قرينة العلامة الإعرابية في الجملة بين القدماء والدارسين المحدثين "، ثم عين بعد ذلك وكيلا لقسم النحو والصرف بنفس الكلية... بالإضافة إلى عمله بالتدريس بدار العلوم أعير للتدريس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الكويت من 1980م إلى 1984م، ثم أعير للعمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات اللغوية والنحوية بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد 1990م حتى 1992م، ثم عميدًا لمعهد اللغات واللغويات بالجامعة نفسها 1992 – 1993م... وقد اِشتغل نائبا لرئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2013م [4].

ب – دراسة العنوان:

قبل الشروع في تحليل عنوان الكتاب أشير إلى أن هناك طبعتين له، كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى في عنوانها اِختلافا طفيفا فقط، فالأمر يعتلق هنا بطبعة دار القلم ط الأولى، الكويت، 1982م، والتي تحمل العنوان التالي " في بناء الجملة العربية "، أما الطبعات الأخرى وهي طبعة دار الشروق وطبعة دار غريب بالقاهرة، 2003، فقد حذفت حرف الجر " في " من العنوان ليصبح كالتالي: " بناء الجملة العربية "، ولعل المؤلف والناشر لم يصرحا بعلة هذا التغيير، ويمكن رد ذلك إلى أن التغيير ما لم يشمل متن المؤلَّف فلا حاجة للإشارة إليه، وتأسيسا على ذلك سنتبنى في تحليلنا لعنوان النسخة التي نعتمدها والتي تعتبر الأكثر اِنتشارا وتداولا – ما عدا المغرب للأسف – وهي نسخة طبعة دار غريب 2003 والمعنونة بـ " بناء الجملة العربية ".

ويمكن تحليل هذا العنوان اِنطلاقا من مستويين اِثنين: الأول تركيبي والثاني دلالي:

1- المستوى التركيبي:

يتكون العنوان التالي " بناءُ الجملةِ العربيةِ " من ثلاثة ألفاظ لكل منها وظيفة معينة، فلفظ "بناءُ" يشغل الوظيفة الخبرية، فهو بذلك خبر مرفوع بالضمة المقدرة على آخره وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذا" وهو مضاف، ولفظ " الجملةِ " مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره، أما لفظ "العربيةِ " فنعت تابع لمنعوته في جره.

2- المستوى الدلالي:

البناء في اللغة من مادة ب ن ن، يقول اِبن منظور (ت711هـ): " بَنى فلان بيتاً من البُنيان... والبُنْيانُ: الحائط. " [5] وهو في اللغة بمعنى فعل التشييد والتعمير، أما في الاِصطلاح فالبناء في النحو هو: " لزوم الكلمة حالة واحدة " [6]، وليس المقصود بالبناء في هذا العنوان البناء النحوي، بل يقصد بالبنية مصطلح "التركيب " وهو مصطلح لساني يفيد العلم الذي يدرس العلاقة الشكلية بين العلامات ببعضها البعض ويعتبر ترجمة للفظ " syntax "، ويقابله مصطلح علم النحو في اللغة العربية، ويقصد به أيضا

---

[4] - أسرة تحرير موقع:" حماسة"، د. محمد حماسة – سيرة ذاتية،
http://www.hamassa.com/2016/02/14/سيرة-ذاتية-للدكتور-محمد-حماسة/
[5] - اِبن منظور، لسان العرب، مادة ب ن ن
[6] - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص:73

الإئتلاف الذي كان يعني به القدماء التركيب، يقول أبو علي الفارسي(ت 377هـ): "الاِسم يأتلف مع الإِسم، فيكون كلاما مفيدا؛ كقولنا: عمرو أخوك، وبِشر صاحبُك، ويأتلف الفعل مع الاِسم، فيكون ذلك كقولنا: كَتَب عبدالله، وسُر بكرٌ" [7] وهو بذلك رصفُ ووضعُ اِسم مع اِسم أو فعل مع فعل بحيث يؤديان معنى مفيدا، وإئتلاف الاِسمين يعطينا جملة اِسمية ذات معنى مفيد، أما إئتلاف الاِسم والفعل فيولد جملة فعلية، وقد يطول هذا التركيب بعناصر أخرى تأتلف مع هذا التركيب وتؤدي إلى تتمة المعنى وزيادة الإفادة. والبناء المقصود هنا هو بناء الجملة، والجملة مصطلح نحوي لم يعرفه العلماء العرب الأوائل كسيبويه (ت180هـ)، وهناك منهم من اِستخدمه مرادفا لمصطلح الكلام وشرطهما هو الإفادة كالزمخشري (ت538هـ) واِبن جني (ت392هـ) حتى مجيء الرضى الأستراباذي (ت686هـ) واِبن هشام (ت761هـ)؛ إذ خصصا مصطلح الكلام مقارنة بالجملة التي تشمل على العلاقة الإسنادية سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا. أما حديثا فأبرز تعريف للجملة هو تعريف د. تمام حسان؛ حيث قال إنها: "وحدة الكلام... والأصل فيها هو الإفادة فإذا لم تتحقق الفائدة فلا جملة." [8] وقد ميز بين " الجملة الأصلية " التي تتميز بعلاقتها الإسنادية المستقلة وهي التي أطلق عليها الدكتور حماسة في كتابه هذا بمصطلح "الجملة المركبة "، وبين " الجملة الفرعية " التي تدخل في إطار تركيب إسنادي أكبر منها وهي ما أسماه د. حماسة بـ" الجملة البسيطة" [9].

أما لفظ:" العربية" فهو نعت، والنعت هو الوصف، وعليه فالعربية وصف لجنس هذه الجملة مدار الدرس.

ب – موضوع الكتاب:

نلاحظ أن العنوان يشير إلى أن المؤلف سيتناول البناء والتركيب والعناصر المكونة له ومظاهر اِئتلافه وعوارض هذا الاِئتلاف وذلك داخل الجملة المنتمية إلى اللغة العربية، فلا يمكن الحديث عن جملة عربية دون معرفة بنائها وتفكيك هذا البناء لمعرفة عناصره المكونة له وطرائق اللغة في ربط هذه العناصر فيما بينها لأجل سلامة بناء الجملة، وإن كان هناك عارض يحول دون تأليف عناصر الجملة فيما بينها على النحو الذي سطرته اللغة فسيحاول كشف أسباب ذلك ودواعيه ومذاهب المتكلمين فيه.

ولعل ما يمكن ملاحظته هو أن المادة المعرفية التي تشكل معظم الكتاب ليست إلا أداة إجرائية وعدة معرفية ستساعد المتذوق للنصوص الشعرية كيفما كان نوعها سواء قديمة أو حديثة على الاِنطلاق من بناء الجمل في هذا التذوق والتحليل ومحاولة دراسة هذا البناء اللغوي، فالشعر "فن أداته اللغة"[10] وأنه لكي نفهم هذا الفن علينا أن نفهم طريقة تركيبه وبنائه قبل الاِنصراف للحديث عن أغراضه وغير ذلك، وهو بذلك مثل فن النحت، فالخبراء في النحت عند رؤيتهم لتمثال معين يحددون نوع الحجر الذي نحت منه وكيف نحت كل جزء من التمثال، كل هذا قبل حديثهم عن الأغراض الاِجتماعية والسياسية وغيرها من الأغراض الخارجية والتي ساهمت في إفراز هذا الإبداع، ومادام الشعر فنا لغويا فما علينا إلا الاِهتمام بلغة هذا الفن، وقد حاول د. حماسة إبراز ذلك في العديد من المؤلفات، فإذا كان مؤلف " بناء الجملة العربية " يقدم الأدوات والمفاهيم الأساسية لتحليل لغة الشعر ودراسة جمله، فإن د. حماسة إضافة

[7] - أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص:9 أوردته: منيرة عبدالله الخفيجي، تتبع موطن الجملة وأثره في النحو العربي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد التاسع، العدد 2، 2012، ص:639

[8] - يزيد سالم، جهود الدارسين المحدثين في دراسة الجملة العربية،ص:74

[9] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص:32

[10] - « Dr : tahirhan aydin »، من أعلام اللغة العربية: الشاعر واللغوي محمد حماسة عبداللطيف: حياته مؤلفاته وآراءه في الشعر وتعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص: 280، 281

إلى تطبيق هذه المفاهيم وأجرأتها في الفصل الرابع قدم إلى الخزانة العربية مجموعة من المؤلفات تحاول ترسيخ هذا المبدأ وتبيان نجاعته وجدواه في تحليل النصوص ومن بين هذه المؤلفات نذكر: "الجملة في الشعر العربي "، "ظواهر نحوية في الشعر الحر: دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور"، " اللغة وبناء الشعر "...

ولم يدخر المؤلف جهدا في تأكيد صحة دعواه، حتى إننا نجده يؤكد ذلك في العديد من المحافل العلمية لعل أبرزها إحدى الندوات المنظمة في " كلية دار العلوم " بالقاهرة التي دَرَسَ ودَرَّسَ بها، وكانت هذه الندوة تحت عنوان " النحو : مدخلا للنص الشعري "[11]؛ حيث يؤكد فيها المسوغات التي تجعل من علم النحو مدخلا أساسيا لدراسة هذه النصوص الشعرية أبرزها النضج الذي وصل له علم النحو باِعتباره علما قائما بداته، ووجود الكثير من الدارسين أهملوا هذا المعطى بالرغم من أهميته، وأخيرا ما لربط النحو بالنص من فائدة معنوية كبيرة في تعليم اللغة العربية وذلك حتى لا يكون هذا العلم فارغا من الدلالة.

ولعل اِهتمام علماء النحو بالإعراب هو السبب وراء هذا الإهمال، فإذا كان النحاة القدامى يهتمون ببناء التراكيب ووظائفها وأن اِستقامة المعنى عندهم أهم من اِستقامة التركيب، فإننا نجد في المقابل أن هناك من علماء النحو المتأخرين مَنْ اِهتموا فقط بالإعراب ونظموا فيه المتون المطولة وجعلوا من هذا العلم علما جافا لا حياة فيه، ولعل من المبررات أيضا التي تدفعنا إلى اِعتماد النحو كمدخل لتحليل النصوص نظرية النظم عند الجرجاني (ت471هـ)، فالنظم عنده يقوم على أساس نحوي، وهذا الأساس النحوي بتظافره مع العنصر البلاغي يبين لنا مظاهر الإعجاز في النص، والنص الذي يدرسه الجرجاني (ت471هـ) هو النص القرآني، والنص كيفما كان نوعه ليس إلا متوالية متسقة ومنسجمة من الجمل التي قد تطول أو تقصر حسب السياق وحسب القصد الذي يريد المتكلم إبلاغه من خلالها؛ حيث إن الإعجاز لا يظهر إلا داخل الجملة المكونة للنص، وهكذا فإعجاز نص ما لا يستقيم إلا بإعجاز جمله، والجملة لا تكون معجزة إلا من خلال نظم المتكلم لعناصرها اللغوية وتأليفه بينها بشكل مبدع يولد دلالة بلاغية لها؛ فالتقديم والتأخير له دلالة والحذف له دلالة وهكذا...

ويتضح أن كتاب " بناء الجملة العربية " للدكتور حماسة عبد اللطيف يحاول التعريف بالعناصر المكونة لبناء الجملة العربية ومظاهر ترابطها وعوارضها، والاِختلاف الحاصل بين البنية الأساسية للغة والبناء المتحقق لدى المتكلم، كل هذا لأجل أن يمتلك القارئ أدوات إجرائية وعُدَّة معرفية تُسعفه في تحليل النصوص ودراسة لغتها وبنائها، والكشف عن قدرة المبدع في تطويع هذه اللغة لتصبح صالحة للتعبير عن مشاعره من جهة، وقابلية اللغة للتمدد ودرجة مرونتها في خلق نص إبداعي معجز في تركيبه من جهة ثانية، وهذا ما يؤكده " رولان بارت " " Roland BARTHES " باعتباره أن المتكلم يعيش في علاقة اِزدواجية مع اللغة، فهو عبد للغة وفي الآن ذاته حر فيها، فعندما يتحدث شخص ما بلغة معينة فهو يخضع لقواعدها وتراكيبها ولنسيجها الثقافي، وفي نفس الوقت يوظف هذه اللغة ويطوعها جماليا وفنيا بشكل يخدم إبداعاته... [12]

---

[11]- د. حماسة عبداللطيف، ندوة: "النحو: مدخلا للنص الشعري"، كلية دار العلوم.
[12] - كريمة حليم، المدخل لعلوم التربية، ص:82

ج- موقع الكتاب من مؤلفات الكاتب:

إن المسيرة الأكاديمية الحافلة للدكتور حماسة المرتبطة باللغة العربية وعلومها خاصة علم النحو كانت لها جذور عميقة تمتد إلى مرحلة طفولته؛ فحفظ القرآن والتعلم في المعاهد الشرعية لا سبيل إلى الشك في اِرتباطه الوثيق بتعلم العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة؛ فتعلمها في نظر الشرع فرض كفاية، وقد اِنعكس اِهتمام الدكتور بهذه العلوم منذ ريعان شبابه على إنتاجاته العلمية والأكاديمية.

بيد أن هذه الإنتاجات لم تسر وفق نسق واحد؛ بل كانت ذات مرجعيات مختلفة تتغير بتغير نظرة الدكتور إلى اللغة وتصوره لها، أيضا بتأثره – شأنه شأن باقي الدارسين آنذاك – بالمناهج الغربية في دراسة اللغة، ففي البداية تأثر بالمنهج الوصفي في اللغة و" هو منهج يحاول أن يخلص العلوم اللغوية من الوجهة التاريخية من جهة، ومن الوجهة المعيارية من جهة أخرى، ويهتم هذا المنهج بوصف النصوص اللغوية، وصفاً واقعياً؛ دون تدخل من الباحث بفرض اِجتهادات من ذاته أو فرض قوالب معيارية موضوعة سلفاً، من خلال ملاحظات سابقة لا تصدق على ما هو أمام الباحث." [13] وهذا أدى إلى نقده للتراث اللغوي العربي، وقد مثلت لهذه المرحلة المؤلفات التالية: " لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية"، و" العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث "... [14]، وقد درس الدكتور في المؤلف الأول " ظاهرة الضرورة الشعرية "؛ حيث يقول في مستهل كتابه " وقد تناولت في هذا الكتاب ما يسميه النحاة ضرورة شعرية من جميع الزوايا. فناقشت المنهج والأسس التي أنتجت هذه الظاهرة في الدرس اللغوي. وبحثتها من حيث هي خروج عن القاعدة؛ فدرست مراحل القاعدة المختلفة، وما يثيره كل منها من قضايا. وبحثتها من حيث مفهوم النحاة لها، واِختلاف هذا المفهوم ونتائجه... "[15]، وقد اِنطلق الدكتور في دراسته لهذه الظاهر من فكرة خاصة وهي أن لغة الشعر لغة خاصة في بعض الاِستعمالات الصرفية والنحوية، تختلف فيها عن لغة النثر، متأثرا في ذلك بالمنهج الوصفي الذي يدعو للفصل بين مستويات الأداء، وقد جاء الكتاب في خمسة فصول، الفصل الأول: القاعدة ونشأة مصطلح الضرورة الشعرية / الفصل الثاني: الضرورة الشعرية في آراء النحاة / الفصل الثالث: أنواع الضرورة الشعرية " معالجة ورأي " / الفصل الرابع: الضرورة الشعرية في اطار اللهجات وتعدد الروايا والسليقة اللغوية / الفصل الخامس: لغة الشعر والتقعيد النحوي.

أما المؤلف الثاني وهو: " العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث " فيهتم بالعلامة الإعرابية باِعتبارها قرينة أساسية للجملة والتي بواسطتها يتم إيضاح المعنى؛ حيث بالرغم من حذف بعضها يبقى البعض الآخر مفيدا للمعنى المقصود، ويتكون الكتاب من أربعة أبواب، خصص الباب الأول للحديث عن الجملة، أما الباب الثاني فتحدث فيه عن العلامة الإعرابية وجذورها في التراث النحوي العربي، بينما الباب الثالث تحدث فيه عن العلامة الإعرابية واِتجاهات الدارسين فيها ونقد القدماء والمحدثين لها، أما الباب الرابع والأخير فتحدث فيه عن الترخص في العلامة عن طريق ذكر المواضع التي يترخص فيها بالإعراب في النثر والشعر.

وقد أخذت النزعة النقدية للتراث في الضمور إلى مجيء المرحلة الثانية والتي غلب عليها الطابع التأصيلي؛ حيث حاول د. حماسة تأصيل النحو العربي عن طريق موازنته بالمناهج اللغوية الحديثة، وبذلك قام بقراءة ثانية للتراث النحوي العربي على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة محاولا عن

[13] - عبدالله أحمد جاد الكريم حسن، المنهج الوصفي (مدخل وتعريف)، مقال بشبكة الألوكة الأدبية واللغوية.
[14] - مؤيد مجيد حميد، البحث النحوي عند الدكتور محمد حماسة عبداللطيف، ص: 6
[15] - حماسة عبداللطيف، لغة الشعر، ص: 6

طريقها إبراز العديد من الجوانب والظواهر التي كانت غامضة أو متخفية، ويقول الدكتور حماسة في هذا الصدد: " وليس الجديد الحق مبتوت الصلة بالقديم منكرا له منسلخا عنه، ولكنه إضافة لبعض جوانبه، واِستكشاف لغوامضه، وإضاءة وتنوير لكثير من معمياته. والجديد الذي لا يعتمد على قديم، ولا يستمد اِستمراره من أصوله، ضرب من القفز العشوائي في الظلام، قد لا يفيد شيئا إن لم يكن تدميرا لكل شيء... " [16] وهذه القراءة الثانية جاءت على شكل تصور تطبيقي للنحو؛ حيث اِعتبر النحو أساسا ومدخلا في تحليل النصوص وقراءتها باِعتباره مفتاحا للدلالة والمعنى، يقول الدكتور حماسة: " وإني لأؤمن إيمانا لا يخالجه شك بأن تفسير أي نص من نصوص العربية لابد أن يعتمد في مرحلته الأولى على فهم بنائه اللغوي وفهم بناء جمله النحوية." [17]، وقد أكد على هذا الطرح في العديد من المحافل العلمية والأكاديمية كما ذكرنا سابقا؛ حيث يشير في إحدى ندواته بكلية دار العلوم تحت عنوان " النحو: مدخلا لدراسة النص الشعري " أن هناك العديد من المسوغات والأسباب التي تبرر هذا التوجه إذ يقول: " المسوغ الأول : الحالة التي وصل إليها النحو بوصفه مادة تدرس في المدارس والجامعات؛ حيث يُعنى في هذه الحالات بجانب من جوانب النحو فقط وهو الإعراب دون غيرها من الأمور المتعلقة بالمعنى، بالرغم من أن ما كان يشغل النحاة الأوائل هو بيان التراكيب والفروق بينها، وقد كان يتردد بينهم أن اِستقامة المعنى أهم من اِستقامة المبنى، وكما يقول اِبن جني (ت392هـ) " فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لسلامة المعنى"، والمسوغ الثاني : إن ربط النحو بالنص سيعود بفائدة كبيرة على تعليم اللغة العربية حتى لا يكون تدريس النحو فارغا من الدلالة " [18].

بيد أن الدكتور حماسة لم يبتكر هذا التوجه، بل كان جزءا لا يتجزأ من التراث النحوي؛ فالنحو العربي منذ ظهوره مرتبط بالمعنى والدلالة، بل كان الاِهتمام بالمبنى أساسا لسلامة المعنى واِستقامته، يقول الدكتور محمود الجاسم: " ومما لاشك فيه أن العلاقة بين النحو والمعنى واضحة لا تخفى على من يتأملها، إذ يظهر أن عناصر المعنى كانت من جملة الأمور التي أخذت بالحسبان منذ أن بدأ النظر النحوي... ذلك أن المفسرين حين أخذوا ينظرون إلى القرآن الكريم ويتفهمون مقاصدهم قادهم عملهم في تلمس المعنى، وتحديد المرامي والمقاصد إلى الحديث عن كثير من قضايا النحو."[19] ولعل اِنتشار اللحن واِنحراف السلائق اِبتداء من القرن الرابع الهجري أدى إلى نزوع النحو نحو التصويب والتخطئة وزاد من ذلك اِهتمام العديد من النحاة بالإعراب والعلامة الإعرابية فنظموا بذلك المتون التعليمية المطولة الشيء الذي جعل من النحو كائنا بلا روح حتى أننا نجد الرضى (ت686 هـ) يقول في شرح الكافية: "المقصود الأهم من علم النحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب، لتوقف الكلام على الكلمة توقف المركب على جزئه. " [20] إلى حين قدوم الجرجاني (ت471هـ) ونظريته في النظم التي أنصفت النحو وأعادت له وظيفته الأساسية ودوره الجوهري في بناء المعنى...

وعليه جاء مؤلف " بناء الجملة العربية " – وهو موضوع هذا البحث – حيث سلك فيه د.حماسة مسلكا مغايرا لذاك الذي تبناه في السابق تحت تأثير أستاذه تمام حسان، ويشير إلى ذلك في مقدمة كتابه؛ حيث تجاوز وصف الظاهرة إلى تفسيرها وهو ما اِشتهر به القدماء من النحاة عند حديثهم عن الكثير من المسائل النحوية مما أدى إلى اِختلاف اِجتهاداتهم في التأويل، ومن المحقق أن هذا يفسر اِختلاف المدارس النحوية كالكوفة والبصرة... وقد اِنطلق من مصطلح الجملة باعتبارها موضوع علم النحو،

---

[16] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 7

[17] - ن.م، ص: 13

[18] - حماسة عبداللطيف، ندوة "النحو : مدخلا للنص الشعري"، كلية دار العلوم

[19]- محمود حسن حسن الجاسم، المعنى وبناء القواعد النحوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد العدد الأول والثاني، ص: 68

[20] - رضي الدين الأسترابادي، شرح الكافية، ج1 ص 7، أورده : د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 22

يقول في النحو الأساسي: " كل كلام نقرؤه أو نسمعه مكون من عدد من الوحدات ذات المعنى المفيد وكل وحدة من هذه الوحدات تسمى جملة فالجملة هي وحدة الكلام." [21] وهو بذلك خلاف علم الصرف الذي يدرس الكلمات؛ يقول عبده الراجحي: " هو علم الأصوات اللغوية يدرس العنصر الأول الذي تتكون منه اللغة، أي يدرس الصوت المفرد في ذاته أو في علاقته مع غيره. " [22] وقد حاول الدكتور حماسة في كتابه هذا - كما أشرنا سابقا - تحديد عناصر بناء الجملة ووسائل الترابط بين هذه الأجزاء وما يعرض للجملة من حذف ونفي. ثم ختم بفصل تطبيقي حاول فيه أن يقدم نماذج من بناء الجملة في الشعر العربي القديم، فالكتاب جله بمثابة أدوات إجرائية لمعالجة العلاقة بين بناء الجملة والمعنى خاصة في تحديد دلالة النصوص الشعرية...

ولم يقف الدكتور حماسة عند هذا الحد بل إستقر على نفس المنهج والتصور في تأليف العديد من الكتب والدراسات الأخرى ذات الصلة ومن بين هذه المؤلفات نذكر: " النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"؛ حيث يبين في تمهيد هذا الكتاب تخليه عن المنهج الوصفي وإنتقاله إلى المنحى التفسيري قائلاً: " وإذا كانت هذه النظرية التي عرضها "تشومسكي" في كتابه "الأبنية النحوية" قد تمثل بصورة أساسية في شرح التركيب؛ أي في تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء الجمل، فإن النظرية قد بلغت نضجها في كتابه "وجوه النظرية النحوية"، فقد غدت الأهداف أكثر طموحا: تفسير كل العلاقات اللغوية القائمة في اللغة بين نظام اللغة ونظام الدلالات. ولبلوغ هذه الغاية كان على النحو الكامل للغة معينة بالمعنى الفني الذي يعطيه "تشومسكي" للكلمة، أن يتضمن ثلاثة أقسام: القسم التركيبي الذي يولد ويشرح البنية الداخلية لعدد الجمل اللامتناهي في لغة معينة، والقسم الفونولوجي الذي يشرح البنية الصوتية للجمل التي ولدها المكون التركيبي، والقسم الدلالي الذي يشرح بنية معناها. وهنا تلتقي النظرية التوليدية من حيث المفهوم والغاية في إجمال مع النحو العربي بالمفهوم الذي قدمه سيبويه (ت180هـ) وابن جني (ت392 هـ) وغيرهما من نحاتنا الأوائل؛ حيث كان مفهوم النحو وغايته يتسمان عندهم بالنضج. " [23] وقد جاء هذا الكتاب تعبيراً عن رغبة ملحة من صاحبه في لفت الإنتباه إلى الدور الذي يقوم به المعنى النحوي الدلالي في بيان النص، وقد شغله أن تكون لدينا – نحن العرب – نظرية خاصة تقوم على معطيات من ثقافتنا ومن تراثنا، ومن تجارب الآخرين في الوقت نفسه؛ فيكون لنا كيان خاص نؤمن به ونثق ونعتز.

ثم هناك كتاب: " الجملة في الشعر العربي "، ويقول في مقدمة هذا الكتاب: " إن تعاون هذه الجوانب المتعددة [يقصد الجانب الإيقاعي والتركيبي والبلاغي] أمر ضروري[الحديث هنا عن الشعر]؛ لأنه يوقفنا على أسرار الإبداع اللغوي. إني أعتقد أن قدرة النحو عظيمة، وطاقته عظيمة على إخصاب التفسير اللغوي عامة، والشعري منه على وجه الخصوص. وعلى المشتغلين بالنحو أن يستنقذوه من الزاوية الضيقة المظلمة التي أريد له أن يقبع فيها... إن كل ما يجري على سطح الجملة المنطوقة في الشعر وفي غيره يقبع تحته البناء النحوي الذي يوجه ويربط ويؤدي إلى التفاعل ويفسر ويتعاون مع هذه العناصر في الشعر ومع هذا البناء النحوي والبناء العروضي... ومن هنا كان لابد من محاولة كشف هذا التعاون الفعال. " [24] وعليه فقد حاول في هذا الكتاب الحديث عن خصائص الجملة في الشعر في الفصل الأول، ثم تحدث عن العلاقة بين الجملة والقافية معتبرا الوزن والقافية من محددات البدائل المناسبة

[21] - حماسة عبداللطيف، النحو الاساسي، ص: 7
[22] - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص: 7
[23] - حماسة عبداللطيف، النحو والدلالة، ص: 34
[24] - حماسة عبداللطيف، الجملة في الشعر العربي، ص: 14- 15

للجملة بشكل يحقق الاِنسجام والتناسب بين المستويين، أما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن الجملة والبيت الشعري، وأخيرا خاتمة بين فيها دور النحو في البناء الشعري.

وبالإضافة إلى هذه القائمة هناك كتاب: " ظواهر نحوية في الشعر الحر، دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور"؛ حيث يحاول الدكتور حماسة في هذا الكتاب إثبات ما للشعر الحر من صلات وثيقة بالشعر العمودي، فطريقة تطويع الشعر العمودي للبنى التركيبية هي نفس الطريقة التي يعتمدها الشعر الحر وخير دليل على ذلك شعر صلاح عبد الصبور، ويقول المؤلف في هذا الصدد: " وقد اِخترت في هذه الدراسة شعر صلاح عبد الصبور للتطبيق عليه. واِخترت زاوية الظواهر الصرفية والنحوية التي كانت توصف قديما في الشعر بأنها ضرورة؛ لأكشف أن حرية الشعر الحر لم تخرج عن كونه شعرا عربيا ينطبق عليه ما ينطبق على سلفه من حيث تركيب الجملة ونظامها النحوي." [25].

نجد أيضا كتاب: " الأنماط التحويلية في النحو العربي وموضوعه " هو: " إلقاء الضوء على بعض التراكيب في العربية التي تحولت من أصل اِفترضه النحويون من خلال نظريتهم التي تفترض وجود " أصل " مقدر، وتركيب ظاهر منطوق أو مكتوب يحاكم؛ أي ذلك الأصل المقدر من خلال عدد من القواعد التي تحكم هذه العلاقة " [26] وهو بذلك يحاول الإشارة إلى بعض الأنماط التحويلية في اللغة العربية على النحو الذي عالجها به النحاة القدامى، وهذا من خلال ثلاثة مستويات: المستوى الأول: مفهوم التحويل وسياقه في الدرس اللغوي الحديث، ثانيا : مفهوم التحويل في نظرية النحو العربي القديم، ثالثا : أنماط من التحويل في العربية.

وفي نفس السياق نجد كتاب: " الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر"، ويحاول د. حماسة في هذا الكتاب تحليل المناهج النقدية لقراءة النصوص الشعرية مبينا ضرورة تأصيل هذه المناهج؛ فالشعر الممثل لفن العربية بحاجة إلى نظرية عربية تسايره وتقوم على معطياته وتتجاوب مع خصائصه يقول: "وإذا تتبعنا الكتابات المعاصرة عن المناهج النقدية لا نجد بينها منهجا واحدا عربي الوجه واليد واللسان" [27] ويقدم بذلك بديلا أصيلاً عبر الحديث عن منهج التحليل النصي للقصيدة، بالإضافة إلى الاِستعانة ببعض القصائد الشعرية لاِستخراج ما بها من مفارقات مختتما ببيان مدى صعوبة العلاقة بين عَرُوض الشعر ومادّته وفقا لآراء الأستاذ محمود شاكر.

والملاحظ من مجموع هذه المؤلفات أن الدكتور محمد حماسة اِهتم فيها بالجانب التأصيلي فـ"ليست غاية النحو هي معرفة الصواب والخطأ في ضبط أواخر الكلم فحسب، وإن كان المتتبع لتحديد غاية النحو يلحظ أن النحاة المتأخرين هم الذين يجعلون غاية النحو هي تمييز صحيح الكلام من فاسده."[28] وقد اِنطلق الدكتور من هذه الفكرة ليؤسس منهجا جديدا في تحليل النصوص وتذوقها ينطلق من بنائها خاصة النصوص الشعرية، فالشعر في نظره فن لغوي والسبيل الأنجع لفهم هذا الفن هو الاِنطلاق من لغته واِتخادها مدخلا لدراسته، وكتاب "بناء الجملة العربية" من مظاهر هذا التوجه لدى الكاتب، فإذا كانت المؤلفات التي قبله نزعت إلى التجديد عن طريق نقد التراث، فكتاب بناء الجملة كان منطلقا للتجديد عن طريق التأصيل وإنصاف التراث النحوي الزاخر وإعطائه نفسا جديدا شبيها بذاك الذي قدمه الجرجاني(ت471هـ) للنحو العربي قديما...

---

[25] - حماسة عبداللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر، ص: 11

[26] - حماسة عبداللطيف، الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص: 5

[27] - حماسة عبداللطيف، الإبداع الموازي، ص: 9

[28] - فايزة شيتور، الجملة الطلبية في قصيدة النقاط على الحروف لنزار قباني – دراسة تداولية -، ص: 10

د- موقع الكتاب من المؤلفات ذات الصلة:

لا يمكن التوقف عند هذا الحد بل لابد من الإِشارة إلى موقع المؤَلَّف من الدراسات ذات الصلة بموضوعه، ولعلنا في ذلك سننطلق من دراسة قام بها الباحث: " علي بن أحمد بن سالم باناعمة " في رسالته " بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد " تحت إشراف الدكتور " مصطفى إبراهيم علي " بجامعة أم القرى؛ حيث صنف الدراسات التي تناولت بناء الجملة العربية إلى صنفين اِثنين، الصنف الأول هو صنف التنظير، والمقصود بصنف التنظير " الكتب التي ناقشت هذه القضية نقاشا نظريا، فحاولت من خلال تتبعها لكتب النحو أن تبين القوانين العامة التي تحكم بناء الجملة، والتي تشكل سلوكياتها المختلفة، كما حاولت من جهة أخرى أن تقدم تعريفا أو مفهوما للجملة، وأن ترصد اِتجاهات البحث النحوي في هذه القضية."[29] .

و لعل أبرز هذه الكتب – حسب رأيه – هي الكتاب قيد الدرس: " بناء الجملة العربية " للدكتور حماسة عبد اللطيف، ولعل أهميته – في اِعتقادي – تتجلى في طبيعته التأصيلية ومنهجه القائم على المزاوجة بين القديم والحديث، فكما أشرنا سابقا الحديث ليس مبثوث الصلة بالقديم منسلخا عنه بل مكملا له، أما المؤلف الثاني فهو كتاب " الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية " للدكتور " محمد إبراهيم عبادة"؛ حيث حاول بدوره دراسة بناء الجملة والعناصر المكونة لهذا البناء، وقد اِعتمد في ذلك على الأصول النحوية القديمة، كما أن الاِختلاف بين الكتابين طفيف للغاية ويتعلق ببعض الاِصطلاحات والتسميات وتبقى الفكرة مشتركة، أيضا هناك كتاب " الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا " للدكتور "فتحي عبدالفتاح الدجـني" وهو كتاب عالج مفهوم الجملة وتطورها عند النحاة القدامى باختلاف مدارسهم، وهناك كتاب آخر وهو كتاب: "مدخل إلى دراسة الجملة العربية" للدكتور "محمد أحمد نحلة"، ويتميز هذا الكتاب بالاِعتماد الكبير على التصور الغربي الحديث للجملة؛ حيث اِنطلق من تعريف العديد من اللغويين الغربيين في تحديد الجملة، كما حدد أنماط هذه الجملة وترابط عناصرها، وآخر كتاب هو "بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو " للدكتورة "نجاة عبد العظيم الكوفي" وهو من الكتب المدرسية التي تناولت بناء الجملة بشكل سطحي...

ونظيف على هذه القائمة كتابا آخر وهو كتاب " الجملة العربية: تأليفها وأقسامها " للدكتور "فاضل صالح السامرائي " وهو بالموازاة مع كتاب آخر له " الجملة العربية والمعنى " عبارة عن جُماع من الأحكام المتعلقة بالجملة العربية وأحوالها وتأليفها وأقسامها، كما يبين العلاقة بين الجملة والمعنى؛ فالجملة لابد أن تفيد معنى خاصا، وإلا كانت ضربا من الأصوات غير المفهومة مما يعيق العملية التواصلية والتي تعتبر من أساسيات اللغة.

أما الفئة الثانية وهي فئة التطبيق فلعل الكتب الغالبة عليها عبارة عن دراسات أكاديمية قام بها العديد من الطلبة والباحثين في الجامعات العربية، وقد حاولت هذه الدراسات والبحوث معالجة بناء الجملة العربية من منظور تطبيقي على النحو الذي اِرتضاه الدكتور محمد حماسة في دراسة النصوص، ولعل ما يميز هذه الدراسات هي اِعتمادها على الأثر اللغوي بأكمله، أي الاِلتزام بما أحب تسميته مبدأ كلية النص، حيث اِنطلقوا من مجموع الأعمال المراد دراستها أو عناصر منتقاة من الجنس الأدبي المراد درسه، ويتضح هذا من خلال عناوين هذه الدراسات وهي كالتالي: " هداء أحمد البس " في بحثها:" بناء الجملة في أحاديث الموطأ المرفوعة "، " وفوزية علي القضاة " في بحثـها: " بناء الجملة في شعر كثير

[29] - عادل بن أحمد بن سالم باناعمة، بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد، ص: 63

عزة "، و"عودة خليل أبو عودة " في بحثه: " بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف "، و" مصطفى إبراهيم " في بحثه : " البنية النحوية في شعر عورة بن الورد "، و" فيصل مفتن كاظم " في بحثه: "الجملة الخبرية في ديوان الفرزدق"، و" زين كامل الخويسكي " في بحثه : " الجملة الفعلية في شعر المتنبي "، و" صبري السيد " في بحثه : " لغة القرآن الكريم في سورة النور "، و"عبد الجليل العاني " في بحثه : " الجملة الخبرية في ديوان جرير"...[30]

ولعل ما يمكن ملاحظته هو تصنيف الدارس لكتاب الدكتور حماسة في فئة التنظير، غير أننا نود إعادة النظر في هذه المسألة وإن كنا متفقين معها في بعض النواحي، ففعلا يمتاز كتاب الدكتور حماسة بطابعه التنظيري والذي كانت له أبعاد تجريبية في العديد من المؤلفات السابقة، غير أن الفصل الرابع في الكتاب قد طبق المؤلف فيه تلك المفاهيم النظرية التي أشار إليها في باقي الفصول وقد أثبت من خلال هذا التطبيق نجاعة هذه الأدوات في تحليل النصوص، "... وقد حاولت التدليل على ذلك في غير هذا الموضع [يقصد ضرورة اِتخاد النحو كمدخل أساسي لدراسة النصوص الشعرية]، وسوف يجد القارئ إشارة أخرى في الفصل الأخير من هذا الكتاب." [31] والإشارة التي يقدمها في الفصل الرابع هي تطبيق لما قدمه في الفصول الثلاثة الأولى حيث يقول: " وهذا المبحث تطبيق لما قدمته في الفصل الأول من وسائل إطالة الجملة، وهو في الوقت نفسه دعوة لربط القواعد النحوية بالتطبيق الذي تتكون به الملكة اللغوية الصحيحة. " [32] وهذا ما يدفعنا إلى اِعتبار كتاب الدكتور حماسة كتابا تنظيريا مسألة مردودة بوجود الفصل الرابع وذلك بِاعتبار الكتاب كلا واحدا غير قابل للتجزئة، وفي المقابل يمكن وضعه في مكان أوسط يجمع بين ما هو تنظيري وما هو تطبيقي، وهذا بلا شك يدل على فطنة الدكتور حماسة وقدرته على وضع تصور محكم لأفكاره وإبراز أبعادها التجريبية بطريقة علمية ومنهجية.

---

[30] - عادل بن أحمد بن سالم باناعمة، بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد، ص: 70

[31] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 15

[32] - ن.م، ص: 310

الباب الأول: الدراسة التحليلية

مدخل.
الفصل الأول: الجملة وعناصر بنائها.
المبحث الأول: المصطلح وتطوره؛
المبحث الثاني: عناصر بناء الجملة؛
المبحث الثالث: إطالة بناء الجملة؛
الفصل الثاني: ترابط أجزاء الجملة ووسائله.
المبحث الأول: ترابط العماد؛
المبحث الثاني: ترابط الفضلات؛
المبحث الثالث: ترابط الترتيب؛
الفصل الثالث: عوارض بناء الجملة.
المبحث الأول: البنية الأساسية وعوارض بناء الجملة؛
المبحث الثاني: الحذف في بناء الجملة؛
المبحث الثالث: النفي في بناء الجملة؛
الفصل الرابع: بناء الجملة في الشعر القديم.
المبحث الأول: ضرورة الاِهتمام ببناء الجملة في الشعر القديم؛
المبحث الثاني: تآلف النسج الشعري وبناء الجملة؛
المبحث الثالث: نماذج من طول الجملة في الشعر القديم؛
تركيب عام.

مدخل:

قسم د. حماسة مؤلفه إلى أربعة فصول، الفصل الأول: " الجملة وعناصر بنائها " (من ص:17 إلى ص:84) يتحدث فيه عن مصطلح الجملة وتطوره عند العلماء العرب القدامى، لأن من خصائص الكتابة العلمية تحديد المصطلحات، ويحدد المؤلف هنا مصطلح الجملة الذي هو مدار الدراسة ومدخلها الأساس في مبحث بعنوان: " المصطلح وتطوره " (من ص:21 إلى ص:32)ثم يحاول بعد ذلك عرض العناصر المكونة لهذه الجملة والتي تعتبر العناصر الأساسية المكونة لهذا البناء فنجده يعرف العمد والفضلات وذلك في المبحث الثاني: " عناصر بناء الجملة "(من ص:33 إلى ص:56) فضلا عن طرق تجاوز هذه العناصر الأساسية للجملة وذلك بإطالتها بهدف تتميم المعنى أو إغنائه وهو ما يضعنا أمام جمل أخرى تدخل في تركيب الجملة الأصلية وجاء هذا في المبحث الأخير: " إطالة بناء الجملة " (من ص:57 إلى ص:84).

أما الفصل الثاني: " ترابط أجزاء الجملة ووسائله " (من ص:85 إلى ص:233) فيتحدث فيه عن أشكال ترابط عناصر الجملة سواء الإسنادية في المبحث الأول: " الترابط بين عنصري الإسناد" (من ص:95 إلى ص:134) أو غير الإسنادية في المبحث الثاني: " ترابط العناصر غير الإسنادية " (من ص:135 إلى ص:209)وهي التي تجعل من الكلام متوالية لغوية مفهومة مفيدة ومتماسكة، هذا من جهة من جهة ثانية يحاول أيضا إبراز الوسائل التي تعتمدها اللغة في تماسك الجمل المترتبة عن بعضها البعض في المبحث الاخير: " ترابط الترتب " (من ص:210 إلى ص:233).

في المقابل نجد الفصل الثالث والمعنون بـ:" عوارض بناء الجملة " (من ص:235 إلى ص: 304) حيث مصطلح البنية الأساسية في المبحث الأول: " البنية الأساسية وعوارض بناء الجملة " (من ص:242 إلى ص:258) والتي لطالما تكرر ذكرها في الدراسة باِعتبارها الصورة الأصلية للبناء اللغوي، أما بناء الجملة فهو الصورة الملموسة المتحققة لدى المتكلمين وهو ما يسميه اللسانيون بـ"الإنجاز "، والعوارض هي التي تحول دون تمثيل بناء الجملة للبنية الأساسية، وقد حدد د. حماسة هذه العوارض في عارضين اِثنين: الحذف في المبحث الثاني: " الحذف في بناء الجملة " (من ص:259 إلى ص:279) باِعتباره ذاك الخرق الذي يصيب بنية الجملة – حسب النحويين – والنفي في المبحث الأخير: " النفي في بناء الجملة " (من ص:280 إلى ص:304) الذي يفيد عدم ثبوت المسند للمسند إليه في الجملة بنوعيها.

أما الفصل الرابع والأخير: " بناء الجملة في الشعر القديم " (من ص:305 إلى ص:390) فيطبق فيه المؤلف النتائج التي اِنتهى إليها في كتابه وذلك على نماذج شعرية... ولعل هذا الفصل ناتج عن الإيمان التام للكاتب بضرورة فهم البناء اللغوي عند دراسة النص الشعري باِعتباره مدخلا أساسيا لتحليل النصوص الشعرية رغم عدم اِهتمام معظم مناهج التحليل بهذا الجانب، وفي هذا الفصل إبراز لقدرة اللغة العربية على الاِستجابة للمتطلبات الإبداعية في المبحث الأول: " ضرورة الاهتمام ببناء الجملة في الشعر القديم " (من ص:311 إلى ص:324) فبالقدر الذي يتسم به نظامها من الصرامة، يتسم أيضا بنوع من المرونة لا نظير لها في باقي اللغات وكل ذلك لإرضاء مبدعيها والسماح لهم بخلق أعمال فنية غاية في الروعة، ويحاول د. حماسة البرهنة عن ذلك تطبيقيا في المبحث الثاني:" تآلف

النسج الشعري وبناء الجملة " (من ص:325 إلى ص:368) والمبحث الأخير: " نماذج من طول الجملة في الشعر القديم " (من ص:369 إلى ص:390).

وعليه فقد تمت دراسة هذه الفصول وتحليلها حسب الترتيب الذي جاءت فيه بالكتاب، مع بعض التعديلات فيما يخص التفريعات داخل المباحث، وذلك تماشيا مع طبيعة الدراسة التحليلية فضلا عن إعادة تركيب محتوى الفصول...

الفصل الأول: الجملة وعناصر بنائها

توطئـــة:

سبق وأن أشرنا إلى أهمية الجملة في الدراسات النحوية بإعتبارها جزء من الكلام، وقد اِهتم النحاة القدامى والمحدثون بهذا العنصر، وجعلوا منها منطلق كل دراسة نحوية، كما حاول بعضهم تحديدها وتعريفها، فبتحديدها يؤطرون موضوع علمهم ومجاله ويميزونه عن باقي العلوم؛ فمن خلال هذه التعاريف تم التمييز ولو مؤخرا بين علمي النحو والصرف رغم التداخل الدائم بينهما سابقا؛ حيث إن علم النحو حسب الدكتور عبده الراجحي " لا يدرس أصوات الكلمات ولا أبنيتها ولا دلالتها وإنما يدرسها من حيث هي جزء من كلام تؤدي فيه معنى معينا " [33] أما الصرف فهو حسب الدكتور كمال بشر: " كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة... " [34]، وهذا يضعنا أمام متقابلين: كلمة / جملة وكلام، فالنحو بذلك أعم من الصرف إذ يهتم أيضا بالكلمة لكن في سياق أعم، وهو العلاقة بينها وبين باقي الألفاظ داخل الجملة.

ولعل الدكتور حماسة كان ملما بأهمية الجملة في علم النحو حيث يقول في بداية الفصل الأول من كتابه: " إن الغاية من دراسة النحو، هي فهم تحليل بناء الجملة تحليلا لغويا يكشف عن أجزائها، ويوضح عناصر تركيبها، وترابط هذه العناصر بعضها مع البعض الآخر، بحيث تؤدي معنى مفيدا "[35]، ولم يأت هذا التصريح بشكل اِبتدائي بل جاء مؤكدا يدل على إلمام وتبصر، ونلاحظ بالتالي أن الهدف والمقصد الأساسي من علم النحو هو دراسة الجملة، وهذه الدراسة لا تكون إلا عبر تفكيك الجملة وتحليل عناصرها وأجزائها وكشف أساليب اللغة في ربط هذه العناصر بشكل محكم حتى يستقيم المعنى وتؤدى الدلالة المقصودة من التركيب، فاللغة أداة للتواصل، والجملة حسب الدكتور حماسة هي تلك الوحدات ذات المعنى المفيد المكونة للكلام أو اللغة [36]؛ وبالتالي فالشرط الأساسي في الجملة هو تحقيق الفائدة التي تعتبر ثمرة التواصل الإنساني.

وبما أن غاية الكتاب هي الكشف عن بنية الجملة العربية فقد حاول الدكتور حماسة اِنطلاقا من منهجية علمية محكمة الاِنطلاق من تحديد أهم مفهوم في هذه الدراسة ألا وهو الجملة، لأن عدم وضوح المفاهيم خطر كبير على اِستقامة الفكر[37]، ووضوح المفاهيم يساهم في إضفاء قيمة علمية على الدراسات، كما أن تفكيك الجملة إلى عناصرها المكونة لها سيؤدي إلى تصنيفها تبعا لنموذجها التركيبي، وتجدر الإشارة إلى طبيعة هذه الجملة التي يهتم بها النحاة القدامى وهي الجملة المنطوقة المستعملة في الكلام العربي، كما أنهم قد اِعتمدوا على المدونات المكتوبة شريطة أن تكون دقيقة وأن تطابق الحدث اللغوي عند المتكلمين، ولعل النحاة القدامى قد ضبطوا هذه المسألة؛ حيث حددوا اللغات التي يجوز الاِحتجاج بها بنوع من الصرامة، ومسوغ ذلك هو هاجس حماية القرآن الكريم، فاِرتباط اللغة العربية بالنص القرآني لم يجعل من دراستها غاية في حد ذاتها منذ البداية؛ بل وسيلة تسعف المتدبر للنص القرآني على فهمه، وهذا ما يؤكد اِرتباط النحو بالدلالة.

---

33 - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 13

34 - الدكتور كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 85

35 - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 19

36 - حماسة عبداللطيف، النحو الاساسي، ص: 7

37 - عبدالله العروي، مفهوم الإديولوجيا، ص:127 أورده: أحمد بوحسن، العرب وتاريخ الأدب، ص: 13

المبحث الأول: المصطلح وتطوره:

حاول الدكتور حماسة في هذا الفصل تحديد مفهوم الجملة في المبحث الأول: " المصطلح وتطوره" اِنطلاقا من تحديد العلماء العرب القدامى لها وهذا يعكس لنا جانبه التأصيلي، حيث اِنطلق من التصور الذي قدمه النحويون من سيبويه (ت180هـ) إلى من تلاه، ومعلوم أن التراث النحوي لم يعرف الجملة بمعناها الاِصطلاحي، بل كان تصورهم لها لغويا محضا، فهي تفيد الكثرة والجمع خاصة لدى سيبويه (ت180هـ)، وقد اِنتشر كبديل لها مصطلح الكلام إلى عهد قريب، يقول اِبن مالك (ت672هـ):

كلامنا لفظ مفيد كاستكم --- واِسم وفعل ثم حرف كلم

واحده كلمة والقول عم --- وكِلمة بها قول قد يؤم

ويشرح اِبن عقيل (ت763هـ) لفظ الكلام في الألفية معتبرا أن "الكلام المصطلح عليه عند النحاة: عبارة عن: اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها. " [38]، والمقصود بعبارة: "عند النحاة" هم النحاة الأوائل أمثال سيبويه (ت180هـ) والذي اِعتمدت على كتابه جل المصنفات النحوية إن لم نقل كلها؛ فالنحو اِكتمل مع سيبويه (ت180هـ)، وقد اِنطلق د. حماسة في تحديده لمصطلح الجملة من التعاريف والتحديدات التي قدمها له النحاة القدامى وقد أفرد لهذه القضية مبحثا بعنوان: " المصطلح وتطوره "، ويبدو لنا من خلال عنوان المبحث أن مصطلح الجملة لم يستقر على وجه واحد بل عرف عدة تعريفات وتطورات، فمن المعنى اللغوي إلى المعنى الاِصطلاحي، ومن التعميم إلى التخصيص، وسنحاول إبراز ذلك عن طريق المحاور التالية :

أ – الجملة من المعنى اللغوي إلى المعنى الاِصطلاحي :

الجملة في اللغة كما حددها اِبن منظور(ت711هـ) هي: "جماعي الشيء.وأَجْمَل الشيءَ: جَمَعه عن تفرقة؛ وأَجْمَل له الحساب كذلك.والجُمْلة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أَجْمَلت له الحساب والكلام؛ قال الله تعالى: لولا أنزل عليه القرآن جُمْلة واحدة؛ وقد أَجْمَلت الحساب إذا رددته إلى الجُمْلة."[39] والملاحظ من ذلك أن المعنى اللغوي في التراث العربي للجملة هو الجمع والضم وهو بذلك ضد الفرقة، ويستخدم اللفظ بهذا المعنى في المجال الاِقتصادي، فنجد البائع بالجملة وهو الذي يبيع البضاعة مجتمعة غير متفرقة على عكس البائع بالتقسيط، وقد اِنعكس هذا التصور التراثي للفظ الجمة على الكتب النحوية القديمة أبرزها كتاب سيبويه (ت180هـ) حيث يؤكد الدكتور حماسة عدم عثوره على لفظ الجملة بمعناه الاِصطلاحي في الكتاب، غير أنها وردت فيه بمعناها اللغوي: "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها. وما يجوز في الشعر أكثر من أذكره لك هاهنا، لأن هذا موضع جمل"[40]، والمقصود بموضع جمل موضع تفصيل وكلام كثير...

بيد أن د. حماسة يشير في إحدى إحالاته أنه تصفح كتاب سيبويه (ت180هـ) فلم يعثر قط على لفظ الجملة سواء في معناه الاِصطلاحي أو اللغوي، غير أننا نجد من يرى العكس؛ حيث إن مفهوم

[38] - اِبن عقيل(ت 763 هـ)، شرح اِبن عقيل على الفية ابن مالك، ص: 10

[39] - ابن منظور، لسان العرب، مادة ج م ل

[40] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص 21

الجملة ورد بمعناه اللغوي في كتاب سيبويه (ت180هـ) ومن بين هؤلاء الباحث حسن عبدالغني الأسديّ ويقول في ملخص أطروحته للدكتوراه: "كشف الاِستقراء لمادة الكتاب أن سيبويه (ت180هـ) كان قد اِستعمل اللفظة بمعناها اللغوي في تسعة مواضع، جاءت في موضعين منها على صيغة الجمع (جُمل، وجملات)، وجاءت في بقية المواضع على صيغة المفرد (جملة). " [41]

ومهما يكن من أمر فإن سيبويه (ت180هـ) كان يملك على الأقل تصورا جنينيا حول الجملة بمعناها الاِصطلاحي غير أن المصطلح هو ما كان يعوزه؛ فالمصطلح هو الذي يسمي المفهوم ويثبته باللغة وينقله من عالم الإدراك والتصور الذهني إلى عالم الإدراك اللغوي[42]، وقد أشار الدكتور حماسة إلى أن سيبويه (ت180هـ) عبر عن مصطلح الجملة بلفظ آخر وهو مصطلح الكلام حيث يقول: "وقارئ كتاب سيبويه (ت180هـ) يلحظ أنه يستخدم الكلام حيث يتوقع القارئ أن يستخدم الجملة في مواضع كثيرة من الكتاب"[43]،وذلك لأن سيبويه (ت180هـ) يجعل من الكلام الجملة القائمة بذاتها والمستقلة بمعناها كـ: "قام زيد"، غير أن هذا الاِستخدام متذبذب وغير ثابت، فبقدر ما يستخدم سيبويه (ت180هـ) الكلام كمرادف للجملة، نجده قد اِستخدم الكلام للتعبير عن معان أخرى من بينها النثر "قد يجوز في الشعر وهو ضعيف في الكلام"، أو بعبارة قلة الاِستعمال "وربما قالو في بعض الكلام"، كما إنه قد يعني به اللغة [44].

ومن هنا نلاحظ أن الجملة بمعناها الاِصطلاحي لم تظهر عند سيبويه (ت180هـ) بل كان مصطلح الكلام نائبا عنها وإن كان متذبذبا في اِستخدامها بين عدة معاني، وقد ظلت الجملة خالية في ذاك العهد من الدلالة الاِصطلاحية.

ولم يستقر الوضع على هذا الحال مع المبرد (ت285هـ) في كتابه: "المقتضب"، غير أن مصطلح الكلام ظل مهيمنا على الكتب النحوية، يقول د. فاضل صالح السامرائي: " ذهب قسم من النحاة إلى أن الكلام والجملة هما مصطلحان لشيء واحد فالكلام هو الجملة، والجملة هي الكلام وذلك ما ذكره اِبن جني(ت392هـ) في " الخصائص " وتابعه عليه الزمخشري(ت 538هـ) في " المفصل ". "[45] وبهذا نجد أنفسنا أمام مرحلة جديدة من تطور مصطلح الجملة من بين أبرز أعلامها نذكر: أبو الفتح بن جني (ت392هـ) عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) الزمخشري (ت538هـ) أبو البقاء العكبري (ت538هـ)، ولم تتوقف حالة الخلط هذه عند القدماء بل اِمتد إلى المحدثين أيضا ومثل لهم د. حماسة بصاحب النحو الوفي د. عباس حسن. ولقد أورد د. حماسة تعاريف هؤلاء العلماء للكلام والجملة ولعل القول المعبر فيهم عن هذا التوجه – في نظري – هو قول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) هو الذي يوضح توجه هؤلاء؛ حيث يقول: " اِعلم أن الواحد من الاِسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا اِئتلف منهما اِثنان فأفادا، نحو خرج زيد، سمي كلاما، وسمي جملة " [46].

ويشير د. حماسة إلى أن هؤلاء الدارسين يشترطون في الجملة أو الكلام مجموعة من الشروط يمكننا تلخيصها في العلاقة التركيبية، والعلاقة الإسنادية، فالعلاقة التركيبية تضفي على الكلام طابع

---

[41]- حسن عبدالغني الأسديّ، مفهوم الجملة عند سيبويه(ت 180 هـ) (عرض)، موقع شبكة الالوكة : http://www.alukah.net/library/0/37164/

[42] - أحمد بوحسن، العرب وتاريخ الأدب، ص: 20

[43] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 21

[44]- ن.م، ص22

[45] - فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 11

[46] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 23

التماسك والائتلاف من جهة، أما العلاقة الإسنادية فتضفي عليها طابع الإفادة من جهة أخرى، يقول الزمخشري (ت538هـ): " والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اِسمين كقوله: "زيد أخوك وبشر صاحبك" أو في فعل واِسم نحو ذلك قولك: "ضُرِب زيدٌ واِنطلق بكرٌ" وتسمى الجملة" [47].

ب – الجملة من المعنى العام إلى المعنى الخاص:

سبق وأن أشرنا إلى أن الدكتور حماسة تتبع تطور مصطلح الجملة من معناها اللغوي عند سيبويه (ت180هـ) إلى معناها الاِصطلاحي عند المبرد (ت285هـ) واِبن جني (ت392هـ) وغيرهما، بيد أنه لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه لتبيان تطور مفهوم الجملة واِنتقالها من المعنى الاِصطلاحي العام إلى المعنى الاِصطلاحي الخاص، وقد أبرز د حماسة أن هذا الاِنتقال اِعتمد على أساس إسنادي، فالتراكيب غير المقصودة لذاتها هي التي تمثل مصطلح الجملة وبالتالي فهي عكس الكلام؛ إذ بين د.حماسة أن "الإسناد فيه لابد أن يكون أصليا في تركيب مقصود لذاته فحسب"[48]، ويفسر ذلك عن طريق مثال شاهد من سورة النور: " والله خلق كل دابة من ماء " فالآية هنا تتكون من مبتدأ مفرد " الله " وخبر جملة " خلق كل دابة من ماء "، والملاحظ أن العلاقة الإسنادية قائمة بين المبتدأ والخبر الجملة هنا علاقة أصلية تتم معها الفائدة، غير أننا عندما ندقق النظر في الشاهد نلاحظ وجود علاقة إسنادية فرعية داخل الجملة نفسها، وهي العلاقة الرابطة بين العناصر المكونة لجملة الخبر " خلق كل دابة من ماء "، والإسناد هنا بين الفعل "خلق" والفاعل "ض.م: هو" وتمتد هذه العلاقة لتشمل علاقة التقييد بين الفعل "خلق والمفعول به "كل" والجار والمجرور "من ماء"، وقد أكد هذا الطرح د. السامرائي؛ حيث يقول: "والنحاة يقسمون الجمل على قسمين: الجمل المقصودة لذاتها، الجمل المقصودة لغيرها. فالجمل المقصودة لذاتها هي الجمل المستقلة نحو حضر محمد وليتك معنا، وأما المقصودة لغيرها فهي الجمل غير المستقلة وذلك كالجمل الواقعة خبرا أو نعتا أو حالا..." [49] ولعل الملاحظ هنا أن د حماسة كان أكثر دقة في التحديد مقارنة ب د. السامرائي فهو يصف فقط تقسيم النحاة الجملة إلى جملة مقصودة لذاتها وأخرى غير مقصودة لذاتها على عكس د. حماسة الذي أبرز من خلال هذه العلاقة الفرق بين الكلام والجملة، وقد أسس تحديده هذا على قول الرضى (ت686هـ)و اِبن هشام(ت761هـ) حيث يقول هذا الأخير: "والكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على قول يحسن السكوت عليه. والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ"قامَ زيدٌ"، والمبتدأ والخبر كـ"زيدٌ قائمٌ". " [50]

بيد أننا نلاحظ تمييزا آخر بين الجملة والكلام قد يقوم على مبدأ الإفادة والإسناد يقول د.السامرائي في هذا الصدد :"ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد." [51] وقد أشار د. حماسة إلى هذا المذهب ممثلا له بتحديد اِبن هشام (ت761هـ) إذ عقب على هذا التحديد قائلا: " وبذلك يتضح أن أصحاب هذا الاِتجاه يعدون كل إسناد بين فعل وفاعل، أو بين مبتدأ وخبر جملة... واِصطلحوا على أن الكلام " قول مفيد" والجملة "قول مركب"."[52].

[47] - ن.م، ص: 23
[48] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 24
[49] - فاضل السامرائي، الجملة العربية. تأليفها وأقسامها، ص12
[50]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 27
[51] - فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 12
[52]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 29

وقد أخذ د. حماسة بعد ذلك يفصل في رأي اِبن هشام (ت761هـ) والرضى(ت686هـ) ويبين ما قدماه من أدلة وشواهد على صحة طرحيهما، ويتضح لنا من هذا الاِهتمام اِقتناع د. حماسة بهذا الطرح، وتماشيا مع المنحى اللغوي التفسيري الذي تبناه يبين لنا أن اِستخدام النحاة للفظ الكلام آت من إيمانهم بأن دراسة اللغة ينبغي أن تنطلق من الكلام الحي كما أشرنا سابقا، فضلا عن أن عدم دراستهم للجملة من خلال وظائفها النحوية يبرز طابعهم التحليلي والذي من خلاله درسوا أبواب النحو بابا بابا، وبهذا فقد تعرفوا على النظام التركيبي للجملة العربية عبر الاِنطلاق من الخاص إلى العام.

بعد ذلك يبين الدكتور حماسة اِستخدام مصطلح الجملة في العصر الحالي باعتبارها "الخلية الحية لجسم اللغة"[53]، ويفرق بعد ذلك بين كل من اللغة باِعتبارها نظاما من الوحدات والصيغ والوظائف والدلالات، والكلام باِعتباره إنجازا وتحققا فعليا لهذا النظام، أما الجملة فهي وحدة الكلام الصغرى، هذا يذكرنا بتحديد اللسانيات للجملة حيث نجد في معجم اللسانيات الحديثة أنها تعني: "مجموعة من المكونات اللغوية، مرتبة ترتيبا نحويا بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها، وتعبر عن معنى مستقل."[54].

وقد قدم الدكتور حماسة بديلا للفظ الكلام والجملة بمصطلحات جديدة تستمد أصالتها من التراث النحوي، وهذه المصطلحات هي مصطلح: الجملة البسيطة: المكونة من العلاقة الإسنادية " فعل + فاعل / مبتدأ وخبر " وهي تقابل الإسناد غير المقصود لذاته، والجملة المركبة: والتي تتكون من علاقة إسنادية تدخل في أحد أطرافها علاقة إسنادية أخرى، وهي تقابل الإسناد المقصود لذاته.

المبحث الثاني: عناصر بناء الجملة:

وبعد تحديده لمصطلح الجملة وتطوره ينتقل د. حماسة للحديث عن عناصر المكونة لبناء الجملة وذلك في مبحث معنون ب: "عناصر بناء الجملة"، وهذا لا يعني أنه سيتحدث عن تلك العناصر التي تكون الكلام كالاِسم والفعل والحرف على شاكلة بعض كتب النحو، بل يستحدث عن العناصر الأساسية التي تتألف منها الجملة وهي العناصر الإسنادية التي تنقسم إلى "المسند" و"المسند إليه"، وقد اِستمد هذا التصور من كتاب سيبويه (ت180هـ) والذي يقول في تحديد هذين العنصرين بأنهما: "ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا." [55] وقد ظل هذا التصور ثابتا عند اللغويين المحدثين؛ حيث يقول د. السامرائي في تحديد عناصر الجملة: " تتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما عمدتا الكلام ولا يمكن أن تتألف الجملة من غير مسند ومسند إليه " [56].

ولم يمر د. حماسة على تعريف سيبويه (ت180هـ) للمسند والمسند إليه سريعا، بل علق على هذا التعريف بأن إمام النحاة لم يحدد ما المقصود بالمسند أو المسند إليه بعد تبيان العناصر التي من الممكن أن تشغل هذه الوظيفة كالاِسم في علاقته بالاِسم، والفعل في علاقته الاِسم، بل حتى التحديد الذي قدمه في بعض المواضع باِعتبار المبتدأ مسندا والمبني عليه أي الخبر مسندا إليه جاء على خلاف النحاة الذي قالوا بالعكس، فالأصل هو أن يكون المبتدأ مسندا إليه والخبر مسندا.

[53] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 31
[54] - سامي عياد حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، ص: 129/ أوردته: نعيمة سعدية، الجملة في الدراسات اللغوية، ص: 74
[55] - ن.م، ص33
[56] - فاضل السامرائي، الجملة العربية: تأليفها وأقسامها، ص: 13

وينصرف د. حماسة بعد ذلك إلى تبيان وإبراز مختلف التعاريف التي قدمها النحاة القدامى لكل من المسند والمسند إليه، ولعل التعريف الأنسب الذي اِرتضاه هو تحديد الرضى (ت686هـ): وينظر النحاة إلى المسند والمسند إليه على أنهما عماد الجملة، ولذلك أطلقوا عليها مصطلح العمد... والباقي محمولة عليها."[57] وقد أوجدت اللغة العربية بعد القرائن اللفظية لتحديد العماد في الجملة، وأبرز هذه القرائن هي العلامة الإعرابية؛ حيث ينطلق الدكتور حماسة من قول اِبن يعيش(ت 643 هـ) في تحديد علامة الإسناد والتي حصرها في الرفع أي الضمة وما سواها علامة للفضلة، والمقصود بالفضلة هو كل ما زاد عن العلاقة الإسنادية...

غير أن د. حماسة يشير إلى ما للفضلة من دور كبير في توجيه معنى الجملة، فبدونها قد لا تستقيم الدلالة وبالتالي يفسد الكلام، ويمثل لذلك بمثال أورده الأشموني(ت 593هـ) في شرحه:

إنما الميت من يعيش كئيبا --- كاسفا باله قليل الرجاء

فالوقوف عند المكونات الإسنادية للبيت من مبتدأ "الميت" والخبر ج إسمية: "من يعيش " يؤدي إلى فساد المعنى المقصود، فكيف يعقل أن يحكم الشاعر بأن الميت هو من يعيش؟؟ لكن يبدو أن الفضلة أدت هنا دورا جوهريا في الإفادة، فالحال " كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء" تبين أن هذا العيش مقيد بحالة الكآبة، وبه يستقيم معنى البيت، وعلى هذا النحو يسير د. السامرائي قائلا: "وليس معنى الفضلة أنه يمكن الاِستغناء عنها فإنها قد تكون واجبة الذكر؛ فإن المعنى قد يتوقف عليها."[58]، ولعل ما يوضح أهمية الفضلة أكثر هو القرآن الكريم الذي يجب في شرحه وفهمه وتدبره الاِهتمام بكل كلمة وكل لفظة دون إهمالها ودليل ذلك قوله تعالى: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فاِستغناؤنا عن الجملة الحالية "وأنتم سكارى" يؤدي إلى فساد في المعنى وإلا فكيف سينهانا تعالى عن الصلاة التي تعتبر عماد الدين.

ويوضح الدكتور حماسة أن هذا الاِهتمام المشترك بين العمدة والفضلة يعود إلى تأثير الحدث اللغوي، والمقصود بالحدث اللغوي هو الكلام بِاعتباره إنجازا، أما النظام النحوي فهو حدود هذا الحدث، وبما أن الأساس من الحدث اللغوي هو التواصل فإن ذلك قد يجعل من الفضلة أحيانا عمدة، والقرآن الكريم يزخر بالشواهد الدالة على هذا.

وبما أن الغالبية الساحقة من النحاة القدامى قد حددت عناصر الإسناد باعتبارها اِئتلافا بين الاِسم والاِسم أو بين الفعل والاِسم على النحو الذي حددناه سابقا، فإن بعضهم كاِبن طلحة والفارسي(ت377هـ) أجازوا قيام الإسناد بعنصر واحد، وقد رد د. حماسة عن ذلك معتبرا أن هذا الطرح لا ينفي بشكل ضمني وجود العنصر الإسنادي الآخر بشكل تقديري.

وسيرا على نهج النحاة القدامى اِنطلق د. حماسة من العناصر الإسنادية لتحديد أنواع الجملة؛ حيث صنفت الجمل في العربية حسب الكلمة المصدرة لها، وبذلك تكون الجملة المصدرة بِاسم جملة اِسمية والمصدرة بفعل جملة فعلية، وبالرغم من أن هذا الطرح هو السائد، فإن ذلك لم يثنه عن تبيان آراء أخرى مغايرة لبعض النحاة، فالزمخشري(ت538هـ) زاد الجملة الشرطية وقد ردها د. حماسة إلى الجملة الفعلية بناء على فكرة البنية الأساسية، أما الجملة الظرفية التي أضافها اِبن هشام (ت761هـ) مبينا مواضع عملها كنوع مستقل فقد رده في الأخير إلى الجملة الاِسمية نظرا لتوافق بنيتيهما وذلك لقبول دخول النواسخ عليهما، ويشير د. السامرائي في هذا الصدد: " والقول بالجملة الظرفية فيه نظر

[57]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 34

[58] - فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 14

فيما يبدو لي، فإنه على ما ذهب إليه صاحب المغني أن الاِسم المرفوع فاعل بالظرف أو بالجار والمجرور في نحو (أعندك زيد). ويبدو لي أن (زيدا مبتدأ مؤخر لفاعل بدليل أنه يصح أن تدخل عليه النواسخ (إن عندك زيدا) ولو كان فاعلا لم يصح دخول إن عليه ولا اِنتصابه." [59] ولعل خير قول يسرد في هذا الموضع هو قول الجرجاني (ت471هـ): " وقد تحصل لك أربعة أضرب من الجمل وهي في الأصل اِثنان: الجملة من الفعل والفاعل، والجملة من المبتدأ والخبر."[60]، وبذلك فإن الجملة تنقسم إلى فعلية وإسمية؛ حيث تشكلان البنيتين الأساسيتين الأصليتين في اللغة العربية.

وإنطلاقا من هذا التحديد يمكن التمييز بين الجمل اِستنادا على العناصر المكونة لها، غير أن مسألة الرتبة في هذه الجمل تطرح إشكالا على حد ما أورده د. حماسة؛ فالجملة الاِسمية تتمتع بنوع من الحرية في التقديم والتأخير إلا لعارض مما قد يخل بالمعنى أو المبنى، على عكس الجملة الفعلية التي يبدو أن ترتيب عناصرها الإسنادية ثابت؛ ذلك أن رتبة الفعل محفوظة ولا جوز تقديم الفاعل عليه، ويقدم مثالا على ذلك عن طريق تقديم وتأخير العناصر الإسنادية في الجملة الفعلية ويمكن الاِستنتاج من هذا المثال:

1- التقديم والتأخير في الجملة الاِسمية حر نسبيا؛ بحيث لا تختل بنية الجملة؛
2- التقديم والتأخير في الجملة الفعلية يفرز جملا غير مقبولة لغويا أو أخرى تدخل في بنية الجملة الاِسمية.

غير أن تلك الحرية في التقديم والتأخير للجملة الاِسمية مشروطة، فالخبر واجب للتأخير إن كان المبتدأ من أدوات الصدارة أو إذا دخلت عليه لام الاِبتداء أو أن يكون الخبر جملة فعلية يعود ضميرها على المبتدأ فالضمير يعود لا يعود على متقدم...

والمسند إليه (الفاعل ونائبه + المبتدأ) مفرد مطلقا؛ يقول د. عبده الراجحي: "المبتدأ لا يكون جملة فهو كلمة واحدة دائما، وإذا رأيت مبتدأ بهيئة جملة فهي ليست مبتدأ باِعتبارها جملة بل باِعتبارها كلمة واحدة، أو كما بقول النحاة باِعتبارها جملة محكية."[61]، والجملة المحكية هي ما يسميه النحاة حسب د. حماسة بالإسناد اللفظي.

وكعادته أورد د. حماسة بعض الآراء المختلفة حول مسألة الإفراد للمسند إليه؛ حيث هناك من يستدل بمجموعة من الآيات باِعتبار أن الفاعل قد يقع جملة، وتعددت اِتجاهات ذلك فهناك من يقول بجوازه: اِبن هشام (ت761هـ) وثعلب (ت291هـ)، وهناك من أجازه بشرطين: الفراء (ت205هـ)، وهناك من أجازه بشرط واحد، غير أن المنع هو الغالب وذاك مذهب السيوطي (ت911هـ) وأكده فيما بعد اِبن هشام (ت761هـ)، ولعل هذا المنع دفع العديد من النحاة إلى تأويل النصوص التي ورد فيها الفاعل جملة، وقد سرد د.حماسة بعض تأويلاتهم وإستنبط منها ما يلي:

1- إن هذه التأويلات متأتية من رغبتهم في جعل الجمل تسير على نمط واحد " الاِطراد "؛
2- " إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض " يمكن لنائب الفاعل هنا أن يكون جملة مادامت الجملة التي تأتي بعد القول جملة محكية؛
3- وضع النحاة قواعد جانبية للحالات الشاذة في اللغة؛

---

[59] - فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 160
[60] - الجرجاني(ت 471 هـ)، المقتصد، ج1، ص: 277
[61] - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 97

4- اِفتقار بعض التخريجات التي قدمها النحاة إلى التفسير؛
5- ضرورة الرجوع إلى سياق الجملة واِستقراء وظيفة كل عنصر فيها والمعنى النحوي الذي يؤديه تشكيل المعنى الكلي للجملة من خلاله.

ويشكل النظر إلى السياق ضرورة ملحة في تفسير الظواهر الشاذة في اللغة، فرَفْضُ أبو حيان (ت414هـ) أن يقع الفاعل اِستفهاما يرد عليه د. حماسة بتحليل آية: "وتبين لهم كيف فعلنا بهم" عن طريق ربطها بالسياق، ويشير إلى مثل هذه الظاهر د. الراجحي حيث يقول: " الواقع أن تراكيب كثيرة يمكن أن تقع فيها الجملة فاعلا من مثل: بلغني كيف اِستطاع أن ينجو من هذه الأزمة. فجملة (كيف اِستطاع...) في محل رفع فاعل للفعل: (بلغني)، وقد اِضطر النحاة أن يؤولوا جملا قرآنية فيها الفاعل تأويلا بعيدا عن روح اللغة. هذا والجملة الفاعل (subject sentence) من الظواهر المنتشرة في اللغة." [62]، وقد أكد بعض اللغويون أن هذا قد يكون من آثار اللغة القديمة وبداية تشكل نظامها النحوي، غير أن زعمهم – حسب د. حماسة – يفتقد للدليل...

ومن بين العناصر الاِفرادية الأخرى المبتدأ، وقد ترد بعض الحالات يكون فيها المبتدأ جملة غير أن النحاة يلجؤون إلى تأويلها بالمفرد كالمثل: " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه "؛ حيث يؤول اِبن هشام (ت761هـ) المبتدأ هنا بإضمار "أن" في " أن تسمع " لكن يورد د. حماسة مثالا اِختلف النحاة في تأويله وهي الآية: "ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا"؛ حيث ذهب الفراء (ت205هـ) والعكبري (ت538هـ) إلى جعل حرف الجر "من" دليلا على الاِسم المحذوف "آية"، وهناك وجه آخر يبرزه الزمخشري (ت538هـ)؛ حيث يرى أن الفعل بإمكانه أن ينزل منزلة المصدر، بينما هناك تأويل آخر وهو الشائع عند أهل القرآن وهو تقدير أن المصدرية حيث يقول الرضى (ت686هـ): "واعلم أنّ أنْ الناصبة تضمر في غير المواضع المذكورة كثيرا."[63]، غير أن الذي يذهب إليه الدكتور حماسة مخالف لذلك تماما، ففي نظره التأمل في سياق الآية ضروري؛ حيث أشار إلى أن المبتدأ جملة " يريكم البرق " ولعل هذا يعود لمرحلة ما قبل اِبتكار الحرف المصدري كسابك.

ومهما يكن من أمر، فإن المبتدأ والفاعل يظل وظيفة إفرادية، وحيثما وجد المبتدأ فالجملة إسمية، ولا يشترط هذا التعميم في الفاعل، فقد يوجد الفاعل والجملة ليست فعلية، فالجملة الفعلية تحتاج إلى الحدث الفعلي، ويورد الدكتور حماسة مجموعة من النماذج التي يكون فيها الفاعل إما في الجملة الفعلية أو الجملة الاسمية وهي كالتالي :

1- الفعل غير الناقص + الفاعل ===> جملة فعلية؛
2- الوصف القائم على نفي أو اِستفهام+ فاعل ===> جملة اِسمية / وصفية؛
3- اِسم الفعل + الفاعل ===> جملة اِسمية؛
4- الظرف أو الجار ومجرور المعتمدان على نفي أو اِستفهام + الفاعل ===> جملة اِسمية/ظرفية؛
5- كما ان الفاعل قد يدخل في تركيب مركب اِسمي بقوم بوظيفة إفرادية.

وعليه فإن الفعل هو الأساسي في تكوين الجملة الفعلية أما الفاعل فقد يدخل في تركيب جملة اِسمية أو مركب اِسمي... وقد لاحظ النحاة هذا فدرسوا كل العناصر النحوية منفردة لا داخل الجملة التي تدخل فيها على النحو الذي أكدناه سابقا...

[62] - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 201
[63] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 52

المبحث الثالث: إطالة بناء الجملة:

اِنصرف الدكتور حماسة إلى الحديث في المبحث الثالث: " إطالة بناء الجملة " عن الوسائل التي تعتمدها اللغة في إطالة بناء الجملة، فالجملة في نظره تقوم على عنصرين أساسين هما المسند والمسند إليه لهذا سميا بعماد الجملة وقد اِنتبه النحاة إلى كل ما زاد عن هذه العماد وسموه فضلة وذلك لما تزيده من معنى، فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، غير أن الدكتور حماسة يشير إلى أن الجملة قد تطول من خلال عناصرها المؤسسة أيضا وعليه يمكننا تقسيم طول الجملة إلى قسمين رئيسيين:

أ – طول الجملة من خلال عناصرها الإسنادية :

والمقصود بهذا أن العناصر الإسنادية المكونة للجملة بمقدورها أن تساهم أيضا في إطالة بنائها وذلك اِنطلاقا من مجموعة من الوسائل، كأن يقوم المركب الاِسمي مقام أحد العناصر الإفرادية وشغل وظيفتها النحوية، والمقصود لديه بالمركب الاِسمي هو: "كل مجموعة من الوظائف النحوية ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية لتتم معنى واحدا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصرا واحدا في الجملة؛ بحيث إذا كانت وحدها لا تكون جملة مستقلة." [64]، والمركب الاِسمي حسب د. حماسة يمكن أن يصدق على التركيب الإضافي: "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم"، والأسماء التي تحتاج إلى ما تحتاج إليه أفعالها/المشتقات؛ والمقصود بها (اِسم الفاعل/المفعول/الصفة المشبهة/اِسم التفضيل/صيغة المبالغة): "وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد"، والمصدر المؤول: "وأن تصوموا خير لكم"، والاِسم الموصول: "هو الذي يسيركم في البر والبحر"، والاِسم المميز (تمييز المفرد): "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا".

وقد يمتد طول العناصر الإسنادية ليشمل أيضا عناصر المركب الاِسمي؛ حيث تطول بدورها ليتعقد البناء ويتشابك، وهذا يؤثر إيجابا على التعبير ويغني دلالة الجملة.

ب – طول الجملة من خلال الفضلات:

يُقَسِّم الدكتور حماسة طول الجملة عن طريق العناصر غير الإسنادية إلى العديد من الأقسام تبعا للوظائف التي يضطلع بها هذا الطول، ومنها طول التقييد، طول التبعية، طول التعاقب، طول التعدد، طول الترتيب، طول الاِعتراض.

- طول التقييد: التقييد في اللغة: ضد الاِطلاق، وهو تعليق الشيء بشيء آخر[65] أما المقصود بالتقييد هنا عند الدكتور حماسة هو تقييد وظيفة نحوية لأخرى وتعلقها بها بحيث ترتبط الوظيفة الثانية بالأولى من حيث المعنى، وهذه المقيدات في الجملة حسب الدكتور حماسة هي المفاعيل الخمسة، فكل واحد منها يقيد الفعل أو ما يقوم مقامه من جهة معينة كالمصدر أو اِسم الفاعل أو صيغة المبالغة أو اِسم الفعل.

وقد اِعتمد الدكتور حماسة في إبراز ذلك عن طريق ملاحظات العلماء القدامى كسيبويه (ت180هـ) والأشموني (ت593هـ) والرضى (ت686هـ)و الصبان (ت1202هـ)، فالمفعول به عنده تقييد لجهة وقوع الفعل، وهو الذي يقع عليه فعل الفاعل: "زارَ زيدٌ محمداً"، أما المفعول

[64] - حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 59
[65] - المعجم الوسيط، مادة ق ي د

فيه فهو تقييد للفعل من حيث زمان ومكان حدوثه، فهو اِسم يدل على زمان أو مكان وقوع الفعل، ومثالنا في ذلك: "زارَ زيدٌ محمداً ليلةَ الجمعةِ"، فليلةَ اِسم منصوب يشغل وظيفة المفعول فيه: "ظرف زمان" وهو يقيد حدوث فعل الزيارة في ليلة الجمعة، أما المفعول لأجله فهو تقييد للفعل من حيث علة حدوثه، فهو المصدر المنصوب الدال على سبب وقوع الفعل، ومثالنا له: "أصلي شكراً لله" فالمصدر المنصوب شكراً يدل على الغاية من فعل الصلاة، كأننا نجيب عن سؤال مفاده: "لماذا أصلي؟" فنجيب: "شكراً لله"، وهو بذلك تقييد للفعل من هذه الناحية بإسقاط الاِحتمالات الأخرى فهناك من يصلي خوفا أو طمعا... أما المفعول معه فهو اِسم منصوب بعد "واو" بمعنى مع والغاية منه بيان المصاحب لوقوع الفعل، وهو بذلك تقييد بهذه الجهة مثلا نقول: "غادرْتُ المدينةَ وطلوعَ الفجرِ"، أما المفعول المطلق فهو المصدر المنصوب المذكر بعد فعل من مادته لتأكيده أو بيان نوعه أو عدده، والتقييد هنا يخص المفعول المطلق المبين للنوع والعدد، أما المفعول المطلق المؤكد للفعل فشأنه في ذلك عند النحاة شأن التوكيد اللفظي، فهو ليس تأكيدا للفعل بعينه، بل تأكيدا لمصدره على حد تعبير الرضى (ت686هـ)، وهو بذلك حسب د. حماسة تقييد لجهة رفع التجوز، وإسقاط اِحتمال المعنى المجازي للفعل.

وبالموازاة مع المفاعيل يسوق لنا د. حماسة أنواعا أخرى من المقيدات وهي الوظائف النحوية التي تدخل – على حد تعبير الرضى (ت686هـ)– في حيز المفاعيل؛ حيث يرى أن الحال مفعول مع قيد مضمونه والاِستثناء مفعول مع شرط إخراجه، ويضيف إلى هذه المقيدات تمييز النسبة الذي يوضح الإبهام المتضمن في جملة إذا كانت تدل على معنى مجمل، ويسمى أيضا بالتمييز الملحوظ، ووجه التقييد هنا هو رفع الإبهام، فإذا قلنا مثلا: "اِزدادَ زيدٌ علماً"، فلفظة علماً رفعت الإبهام عن جملة "اِزدادَ زيدٌ"، أي وضح النسبة المقصودة من الزيادة المسندة إلى زيد.

ومن بين العناصر المقيدة للفعل الاِستثناء في حالته المنصوبة، وهو من المفاعيل كما أشار الرضى (ت686هـ)وأكد على ذلك عبده الراجحي حيث يقول: "يعد النحاة المستثنى نوعا من المفعول به؛ لأنهم يرون أنه في حالة النصب منصوب بفعل تدل عليه كلمة الاِستثناء، وتقدير هذا الفعل عندهم: أستثني." [66]، والمستثنى يقيد الفعل من جهة تخصيصه، فعبارة: "قامَ القومُ إلاَ زيداً" تخصص الفعل بأن القيام شمل الجميع ما عدا زيد، وبهذا فنحن نقيد فعل قيام الجميع بإخراج زيد عن هذا الفعل.

ويضيف الدكتور حماسة نوعا آخر من أنواع التقييد وهو تقييد الجار والمجرور للفعل؛ فالجار والمجرور حسب د. عبده الراجحي: "يدل على معنى فرعي يتمم نقصان المعنى الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه؛ أي أن هذا المعنى الفرعي يرتبط بمعنى الفعل، أي يتعلق به."[67] وهذا التعلق يفسره سيبويه (ت180هـ) بلفظي الجر والإضافة، فهما يجران ويضيفان معنى الاِسم إلى الفعل، مثلا: "مررتُ بزيدٍ" فحرف الجر هنا أضاف وجرّ معنى المرور إلى زيد، هذا فضلا عن المعاني التي قد تضيفها حروف الجر المختلفة كـ: من للتبعيض واللام للملكية وإلى للغاية...

[66] - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 305

[67] - نفس المرجع، ص: 410

- طول التبعية : يحيل لفظ التعبية إلى وجود عنصرين اِثنين: تابع ومتبوع، والتبعية تلزم أن يتبع التابع المتبوع كليا أو جزئيا، والتبعية المقصودة هنا هي التبعية الإعرابية، فكما بينا سابقا، تتكون الجملة من العمد وتتميز بخاصية الرفع، أما الفضلات فعادة ما تكون منصوبة، المهم أن لكليهما شخصية إعرابية، لكن هناك عناصر أخرى تدخل في بناء الجملة ليست لها هذه الخاصية، وتكتفي بحمل العلامة الإعرابية التي تشغلها الوظيفة التابعة لها، وعلى هذا النحو قد تطول الجملة اِنطلاقا من هذه التوابع والتي قسمها الدكتور حماسة إلى توابع خاصة بالاِسم، وأخرى عامة.

ومن التوابع الخاصة بالأسماء يذكر د. حماسة النعت، الاِسم المشتق أو المؤول بالمشتق الذي يكمل به المنعوت إما لبيان صفة من صفاته أو صفة من صفات شيء أخر له علاقة به. وقد يسمى كذلك الصفة أو الوصف[68]، ويؤدي النعت العديد من الوظائف في الجملة يفسرها الدكتور حماسة من خلال كلام سيبويه(ت180هـ)، ومن هذه الوظائف وظيفتان أساسيتان: وظيفة التخصيص وهي الوظيفة التي تؤديها صفة الموصوف النكرة، ويضيف سيبويه(ت180هـ) أن التبعية هنا تجعل النعت والمنعوت كالاِسم الواحد، ووظيفة التوضيح إذا كان المنعوت معرفة، والفرق بينهما هو أن الاِيضاح يرفعُ الاِحتمال في المعارف أما التخصيص فيقلل الاِشتراك في النكرات.

ومن التوابع أيضا التوكيد، وهو نوعان: خاص بالأسماء يسمى التوكيد المعنوي ومن أشهر ألفاظه: عين نفس وكلا وكلتا... وهي تتبع الاِسم المعرفة وترفع عنه الاِحتمال، والنوع الآخر يسمى التوكيد اللفظي فهو إعادة اللفظ أو تقويته بموافقة معناه، وهو بذلك يرفع اِحتمال التجوز.
وهناك أيضا البدل وهو تابع ومقصود بالحكم في الآن ذاته، وليس معنى هذا أن المبدل منه غير مقصود، بل مقصود أيضا لما له من دور في التوطئة والتمهيد لذكر البدل، والغرض الأساسي منه هو البيان والإيضاح، وهو عدة أنواع: بدل مطابق: البدل عين المبدل منه/ بدل بعض من كل: البدل جزء من المبدل منه/ بدل الاِشتمال: البدل دال على صفة من صفات المبدل منه/ وبدل الإضراب أو الغلط ومكانه في الكلام لا الجملة.

وأخيرا تبعية العطف، وهو التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد أحرف العطف العشرة: الواو – الفاء – ثم – حتى – أم – أو – أما – لا – بل – لكن[69]، وكل هذه الحروف تقتضي الإشراك في الإعراب، أما الحكم فلا، ويظهر جانب التقييد في العطف حسب د. حماسة في أن المعطوف غير مطلق في اِنفراده بالحكم.

- طول التعدد : والمقصود بطول التعدد هنا هو ذاك الطول الذي تضفيه الوظائف النحوية القابلة للتعدد في الجملة شريطة عدم الاِقتران بحرف عطف. ومن الوظائف القابلة للتعدد المفعول به وذلك في إطار علاقته بالفعل؛ فالفعل ينقسم إلى لازم ومتعدي، واللازم هو ما يلزم فاعله كـ" قامَ زيدٌ"، والمتعدي ما يتعدى فاعله إلى مفعول به أو أكثر، فهناك من ينصب مفعولا واحدا أو مفعولين أو ثلاثة مفاعيل.

---

68 - حماسة عبداللطيف، النحو الأساسي، ص: 369

69 - نفس المرجع، ص: 387

وقد يتعدد الخبر أيضا في الجملة الإِسمية مثلا:"زيد شاعرٌ كاتبٌ فيلسوفٌ"، والملاحظ أننا أخبرنا عن زيد بأنه شاعر وأنه كاتب وأنه فيلسوف في الآن ذاته، ويجوز هذا عند النحاة، فالخبر عندهم حكم على المبتدأ، وقد يحكم على الشيء بأحكام متعددة.

كما قد يتعدد النعت أيضا ومثالنا في ذلك قوله تعالى : "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين" وتعدد هذا الصفات تدل على لصوقها جميعا بالموصوف وإِشتماله عليها جملة واحدة. ويضيف الدكتور حماسة أن قطع النعت عن منعوته بمخالفته في الإعراب يدخله في باب الحال.

وأخيرا نجد الحال الذي قد يتعدد لشبهه بالنعت والبدل ومثالنا في ذلك: "زحفَ الطفلُ متعثراً باكياً". وبهذا يطول بناء الجملة بشكل يغني المعنى ويرفع الإِبهام.

- طول التعاقب: أتاحت اللغة العربية للعديد من الوظائف أن تقوم الجمل مقامها، والجمل المقصودة هنا هي الجمل التي لها محل من الإعراب؛ فالجملة قد تكون في محل نصب أو رفع أو جر أو جزم، والجملة التي لها محل من الإعراب أو التي تعقب المفرد حسب د. حماسة: الخبر: والخبر من الوظائف التي يمكن أن تعقبها الجملة سواء أكانت فعلية أو إِسمية، وأيضا شبه الجملة، وقد إِشترط النحاة في ذلك وجود رابط في الجملة يعود على المبتدأ، ويسوق د. حماسة نماذج لجمل طالت عن طريق طول التعاقب في وظيفة الخبر وقد تطول هذه الجملة نفسها ويتعقد تركيبها.

الحال : تقع الحال أيضا جملة ويشترط فيها بدورها رابطا يربطها بصاحب الحال في الجملة الكبرى، وقد تطول الجملة الحالية أيضا لتضم حالا أخرى جملة.
النعت: نفس القول في النعت غير أنه مشروط؛ إذ يقال إن: "الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال"، كما يجب أن تكون الجملة جملة خبرية.
المضاف إليه: الأصل في الإضافة أن تكون للمفرد، غير أن هناك من الأسماء حسب د. حماسة ما يلزم إضافته إلى الجمل وهي: إذ وإذا وحيث ولما الحينية، ومن الأسماء أيضا: الكلمات الدالة على الزمان سواء أكانت ظرفا أو غير ظرف، ويشير د. حماسة إلى أن سيبويه (ت180هـ) أضاف إِسمين إلى هذه الأسماء كـ"آية" التي تجوز إضافتها إلى الجملة الفعلية ذات الفعل المتصرف وأيضا "ذي"، وقد أجاز بعض النحاة "لدن وريث".
المفعول به : الجملة لا تقع مفعولا به إلا في مواضع معينة، كأن تكون محكية بالقول؛ أي مقولا للقول، أو أن تقع بعد المفعول الأول من باب ظن وأخواتها وأعلم وأرى، وأخيرا أن تقع الجملة معلقا عنها العامل سواء كان ذلك في أفعال القلوب أم في غيرها، والتعليق هو أن يعترض ماله صدر الكلام بين الفعل ومفعوله.

- طول الترتب: والمقصود بالترتب هنا عند الدكتور حماسة هو توقف جملة على أخرى، وإِحتياجها إليها، وتعليق حكمها على الأخرى سواء لفظيا أو معنويا، وإِحتياج الجملة إلى الأخرى يؤدي إلى طول الجملة، ويمكننا جرد هذا النوع في العناصر التالية:

الشرط : تتكون جملة الشرط من ثلاثة أجزاء حسب الدكتور حماسة وهي: أداة الشرط، جملة الشرط وجواب الشرط، وتترابط الجملة الشرطية بجوابها عن طريق الأداة والعلية، أما إن كان الرابط اِسما فيشترط أن يكون مبتدأ أو مفعولا به.
الجملة الفعلية التي يجزم فعلها في جواب الطلب، والطلب هنا يفهم من السياق والذي حدده سيبويه (ت180هـ) في العديد من الأغراض كالأمر والنهي والاِستفهام...
الفعل المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية بعد جواب نفي محض أو طلب محض بمختلف أنواعه، ويختلف النحاة في ناصب هذا الفعل، فسيبويه (ت180هـ) يرده إلى: أنْ المضمرة، أما الكوفيين أمثال الفراء (ت205هـ) فيرون أن اِنتصاب الفعل يرجع إلى الصرف كونه مخالفا للأول.
أسلوب القسم: القسم أيضا من العناصر التي تطول بها الجملة طول ترتيب، والمقصود بالطول هنا جواب القسم لأن الجملة الثانية تترتب على الأولى وإن كان اِرتباطهما يوحي بأنهما جملة واحدة، ويسرد د. حماسة رأي سيبويه (ت180هـ) بأن القسم يجري مجراه ما يؤدي معناه، فقد يحذف الفعل في أسلوب القسم، كما قد يحذف المبتدأ أو الخبر حسب الصدارة.

- طول الاِعتراض: وهو الطول الذي تتولاه الجملة الاِعتراضية التي توجد في الكلام، وهي في الأصل من الجمل التي لا محل من الإعراب، غير أن هذا لا ينفي دورها في بناء معنى الجملة وخير دليل على ذلك اِعتراض المتلازمين، أي الوظائف التي تلي وظائف أخرى لاِرتباطها، وهذا ما يجعلها لافتة للاِنتباه: " وإنه قسم - لو تعلمون - عظيم "، حذف الجملة الاِعتراضية يؤدي إلى إضعاف المعنى، ولهذا اِهتم به البلاغيون في باب الإطناب، وهي غالبا ما تكون بين فاصلتين أو بين عارضتين.

تركيــــــــب:

تأسيسا على ما سبق يتبين لنا أن الدكتور حماسة حاول في هذا الفصل قبل الخوض في تفكيك عناصر بناء الجملة تحديد مصطلح الجملة في البداية، وإبراز أهم المحطات التي مر بها هذا المفهوم عبر كتب النحو المختلفة منذ سيبويه (ت180هـ)، ونلاحظ أن د. حماسة قدم من خلال آراء النحاة القدامى أهم التوجهات التي حددت مصطلح الجملة فمن المعنى اللغوي عند سيبويه (ت180هـ) إلى المعنى الاِصطلاحي الدال على اللفظ المفيد المستقل بمعناه والمرادف للفظ الكلام عند كل من الزمخشري (ت583هـ) واِبن جني، مرورا إلى الدقة في التحديد النابعة من الفهم العميق للتراكيب بِاِعتبار أن الكلام أخص من الجملة، فهوم ما تضمن إسنادا أصليا مقصودا لذاته بينما الجملة تتكون من إسناد فرعي غير مقصود لذاته وذلك عند الرضى (ت686هـ)واِبن هشام (ت761هـ)، وصولا إلى العصر الحديث حيث تعتبر اللغة نظاما والكلام تحققا له، والجملة هي العنصر الدال على معنى مفيد داخل هذا النظام، فهي وحدة الكلام الصغرى التي تتم بها الفائدة.

والجملة باعتبارها بناء لابد من الكشف عن العناصر المكونة له، وعليه فقد تبينا أن د. حماسة يحددها في المسند والمسند إليه، حيث تتبع تحديد القدماء لهذين العنصرين الاِسناديين مبرزا الخلط الذي كان عند سيبويه (ت180هـ)، ومحددا الوظائف التي يمكن أن تشغل هذه العلاقة وهي: الاِسم في علاقته

بالاِسم، والفعل في علاقته بالاِسم، وباعتبارها عماد فإن الجملة تكتفي بهما، غير أن د. حماسة واِنطلاقا من آراء نحاتنا الأوائل بين ما للفضلة من دور في توجيه المعنى بشكل يجعل منها المقصودة من الكلام على النحو الذي بينا سابقا.

واِنطلاقا من هذه العناصر الإسنادية وتموقعها في الجملة أي رتبتها يمكن تحديد البنية الأساسية التي تنتمي إليها هذه الجملة، فقد لاحظنا أن اللغة العربية تقوم على بنيتين أساسيتين تتأسس عليها باقي أنواع الجمل وهي الجملة الاِسمية والجملة الفعلية، وأيّ تقديم أو تأخير في العناصر الإسنادية للجملة قد يؤدي إلى ظهور صور ممنوعة لغويا أو تداخل في نطاق بنية الجملة الأخرى، ولعل هذا ما دفع اللغة إلى اِبتكار الرتبة المحفوظة كرتبة الفعل حتى لا تختل البنية الأساسية للجملة الفعلية مثلا.

وقد أشرنا إلى أن أهم العناصر الإفرادية في الجملة هي المبتدأ والفاعل، ولعل هذا الحكم المسبق أدى بالنحاة إلى تأويل العديد من الشواهد التي خرجت عن هذه القاعدة، لكن ما يضيفه د. حماسة هو ضرورة تفسير هذه الحالات اللغوية الشاذة اِنطلاقا من سياقها، فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، والسياق هو المحدد الأساس للعناصر اللازم اِستخدامها في بناء الجملة في ظل علاقات اِستبدالية.

ولعل وجود المبتدأ والخبر يدل على وجود جملة اِسمية، إلا أن الجملة الفعلية لا تحدد إلا من خلال الفعل، ذلك أن الفاعل قد يرد في جمل اِسمية أو في مركب اِسمي وهذا يدل على عمق التفسير النحوي لدى د. حماسة.

والجملة باِعتبارها نتاج المتكلم للتعبير عن غرض معين، لابد أن تخضع لقدرة هذا المتكلم التعبيرية، وبذلك قد تطول عناصر هذه الجملة وتتمدد سواء تعلق الأمر بالعناصر الإسنادية أم بالفضلات، فاللغة العربية أتاحت للوظائف الإسنادية التمدد عن طريق المركب الإسمي، أما الوظائف التي تدخل في إطار الفضلات فتطول عن طريق تقييد الفعل من إحدى جهاته، أو تبعية إحدى الوظائف لأخرى في الإعراب أو تعددها، أو تعاقب الجمل لبعض الوظائف بحيث تحل محلها، أو ترتب إحدى الوظائف عن أخرى، أو اِعتراض أحد العناصر لوظيفتين متلازمتين في الجملة.

ولعل هذه المرونة التي تتميز بها الجملة العربية تعكس لنا شاعريتها وقدراتها التعبيرية الهائلة، فالخبر المفرد ليس هو الخبر الجملة، وكذلك بالنسبة للحال، فالجملة بطبيعتها تنزع إلى التصوير، وبالتالي تكون هي الاِختيار الأصدق للتعبير، ولعل خير دليل على ذلك تشبيه التمثيل الذي يقوم على تعدد الجمل وتعاقبها، وهذا التعدد هو ما يميزه عن باقي أنواع التشبيه وهو ما أضفى عليه طابعا تصويريا بل وحجاجيا أيضا...

الفصل الثاني: ترابط أجزاء الجملة ووسائله

توطئـــة:

الترابط في اللغة من مادة ر ب ط، يقول اِبن منظور(ت711هـ): "رَبَطَ الشيءَ يَرْبِطُه ويَرْبُطُه رَبْطاً، فهو مَرْبُوطٌ ورَبِيطٌ: شدَّه."[70]، والترابط بذلك يعني التلاحم والتماسك والتناسق، أما في الاِطلاح فيمكن تحديد دلالته من خلال لفظي الاِرتباط والربط، فكلاهما يحيلان على التآلف والتعالق، وقد حدد د.مصطفى حميدة هذين المصطلحين مبرزا الفرق بينهما إذ الاِرتباط عنده هو: "نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون واسطة لفظية، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه."[71] بينما الربط هو: "نشوء علاقة نحوية سياقية بين معنيين بِاِستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة أو ضمير بارز."[72]، وبهذا نلاحظ أن الاِختلاف بين المصطلحين نابع من طبيعة الوسائل التي يعتمدها هذا الربط وهذا يحيلنا على مصطلحي الترابط المعنوي الذي يقابله مصطلح الاِرتباط في أوسع تجلياته، والربط اللفظي الذي يقابله مصطلح الربط في مدلوله الواسع.

والجملة بِاِعتبارها بناءً محكما يتكون من مجموعة من العناصر، لابد أن يكون هناك ترابط بين العناصر المكونة لهذا البناء حتى لا يختل ولا يفقد معناه الدال على التماسك والتآلف، والعبارة المحكمة لا تكون كذلك إلا إذا كانت مترابطة العناصر ومن ثَمّ واضحة الدلالة، وهذا ما يؤكده الدكتور حماسة في توطئة الفصل الثاني المعنون بـ: "ترابط أجزاء الجملة ووسائله"؛ فالكلام المفيد عنده لابد أن تكون العناصر المكونة له مترابطة ترابطا محكما، بيد أن المتكلم لا يستشعر الوسائل التي تستعين بها اللغة في ربط عناصرها، ونحن لانشك أنه يستشعر اِنعدامها وذلك لما يؤول إليه الكلام من عبثية وترهل.

ولعل الهدف الأساس من وجود هذه الوسائل سواء اللفظية منها أو المعنوية عند د. حماسة هو: "أمن اللبس"، والمقصود بأمن اللبس هنا هو عدم اِلتباس العناصر المكونة للجملة بعضها ببعض في ظل وجود العديد من العناصر المتشابهة في اللغة العربية، وبالقدر الذي تعيننا هذه الوسائل في التمييز بين العناصر المكونة للجمة، فإنها أيضا تعيننا على تحديد العناصر الاِستبدالية الممكنة للوظيفة الواحدة وهذا ما يقصده د. مصطفى حميدة بقوله: "وتلجأ العربية إما لأمن اللبس في فهم الاِنفصال بين المعنيين، وأما لأمن اللبس في فهم الاِرتباط بين المعنيين، فالربط هو الحلقة الوسطى بين الاِرتباط والاِنفصال." [73].

وقد اِستهل د. حماسة الحديث عن هذه الروابط بالإشارة إلى وسيلتين أساسيتين وهما الإعراب والرتبة، فالإعراب في اللغة هو: الإبانة، والمقصود بالإبانة هو توضيح المعنى المراد من الكلم، "ذلك أن الإعراب يبين عن المعاني ويكشف عنها ولولاه لكان الكلام مبهما غير مفهوم ولا معلوم."[74]، وقد اِنطلق النحاة من ثلاثية: الموقع والوظيفة والعلامة الإعرابية في تحديد المعنى المقصود من الكلام، فالجملة تتجزأ إلى العديد من المواقع؛ فالخبرية موقع، والفاعلية موقع، والمفعولية موقع... وهذه المواقع المتعددة تشغلها العديد من الوظائف، فالخبرية يشغلها الاِسم الظاهر أو الضمير أو الجملة المعربة أو المركب الاِسمي... ولكل موقع حالة إعرابية يُرمز لها بعلامة تحدده، وهناك من جعل مدار الإعراب هو تلك

---

70 - اِبن منظور، لسان العرب، مادة ر ب ط

71 - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب بناء الجملة العربية، ص: 1

72- ن.م، ص:1

73- ن.م، ص: 1

74- فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص: 30

العلامة في حد ذاتها كالدكتور عبده الراجحي؛ حيث يقول: " الإعراب هو العلامة التي تقع في آخر الكلمة وتحدد موقعها من الجملة؛ أي تحدد وظيفتها فيها."[75]، والحالات الإعرابية في اللغة العربية هي: الرفع وعلامته الضمة الظاهرة أو المقدرة "ُ " أو والألف في المثنى "ا" والواو في جمع المذكر السالم والأسماء الخمسة "و"، النصب وعلامته الفتحة الظاهرة أو المقدرة "َ "والياء في المثنى وجمع المذكر السالم "ي" والألف في الأسماء الخمسة " ا " والكسرة النائبة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم "ِ "، الجر وعلامته الكسرة الظاهرة أو المقدرة "ِ " والياء في المثنى وجمع المذكر السالم " ي " والفتحة في الممنوع من الصرف " َ "، الجزم وعلامته السكون الظاهر أو المقدر "ْ ". وقد اعتبر د.حماسة أن مسألة التعميم في ربط الوظائف النحوية بالحالات الإعرابية تؤدي إلى العديد من المشاكل ممثلا لذلك بقول الزمخشري: " الرفع علم المفاعلية..."[76] فالضمة عندهم علم الإسناد... وعليه فإن الإعراب بتضافره مع باقي الوسائل لا الاِقتصار على العلامة فقط يؤدي إلى وضوح المعنى، وما يؤدي إلى وضوح المعنى يؤدي بالضرورة إلى التماسك والترابط.

والوسيلة الثانية في الربط هي الرتبة، والمقصود بالرتبة في النحو الموضع الأصلي للعنصر فيقال إن المفعول رتبته مثلا التأخر عن الفاعل... ويميز د. حماسة بين التقديم والتأخير والرتبة معتبرا الرتبة هي الأصل في تكوين البنية الأساسية للجملة، بينما التقديم والتأخير هو تجاوز الترتيب الذي وضعته اللغة للعناصر المكونة للجملة لأغراض بلاغية وسياقية، والرتبة في الجملة العربية نوعان: محفوظة وغير محفوظة، فالتقديم والتأخير يجوز أحيانا وقد لا يجوز أحيانا أخرى باِختلاف البنى الأساسية للجمل، وبظهور العلامات الإعرابية على العناصر المكونة لها، وقد ساق د. حماسة قولاً لاِبن يعيش (ت643هـ) يوضح ذلك، ونزيد عليه نحن قول د. فاضل السامرائي في موانع التقديم: "هناك موانع تمنع من التقديم في الجملة العربية وهذه الموانع يمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام: موانع تتعلق بالمعنى/ موانع موقعية أي تتعلق بموقعها في الكلام/ موانع تتعلق بالعمل."[77]، ويؤكد الدكتور حماسة في نفس السياق على أهمية التقديم والتأخير في الجملة لما يضيفه عليها من غنى دلالي وتنوع إيحائي يساهم في الرفع من شاعرية الشعر العربي القديم.

وقد أورد المؤلف في هذا الفصل العديد من وسائل الترابط والربط صنفها وفق الدور الذي تقوم به في الجملة وبذلك نجد في الفصل ثلاثة مباحث، الأول: "ترابط العناصر غير الإسنادية"، والثاني: "ترابط العناصر الإسنادية"، أما الثالث فـ:" ترابط الترتب " وسنعرضها على الشكل التالي:

المبحث الأول: ترابط العماد:

المقصود بترابط العماد هو ذلك الترابط الحاصل بين العناصر الإسنادية المكونة للجملة والتي حددها د. حماسة في المبتدأ والخبر في الجملة الاِسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، وقد أضاف إلى هذين الأصلين الجملة الوصفية المكونة من الوصف ومرفوعه، والمقصود بالجملة الوصفية الجملة "التي يكون المسند فيها وصفا عاملا مكونا من صفة الفاعل أو المفعول أو التفضيل أو الصفة المشبهة ومن فاعله

---
[75]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 20
[76]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 91
[77]- فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 55

ومفعوله إن كان متعديا."[78]، وقد كان الدكتور تمام حسان بعد إعادة وصفه لتراكيب اللغة من أول المتحدثين عنها، فبتصنيفه للكلم إلى: "الإِسم – الصفة – الفعل – الضمير – الخالفة – الظرف – الأداة."[79]، أوضح خاصية التعليق التي تتميز بها الصفات والتي تجعل منها أحيانا مسندا فتؤدي وظيفة مشابهة لوظيفة الفعل أو مسندا إليه فتكون فاعلا أو نائبا له أو مبتدأً، ويقول د. تمام حسان في هذا الصدد: " هذه الخاصية من خواص الصفات تجعل من المقبول أن نتكلم عن جملة وصفية تقابل الجملتين الإِسمية والفعلية وتكون هذه الجملة أصلية كما في: (أقائمٌ المؤمنونَ للصلاةِ) وتكون فرعية نحو: (رأيتُ إمامًا قائماً تَابِعُوهُ للصلاةِ)."[80]، ولعل الملاحظ أن د. حماسة لم يتحدث في باقي الفصل عن وسائل الترابط بين عناصر الجملة الوصفية، ويمكن تفسير ذلك بِإنتمائها للبنية الأساسية للجملة الإسمية...

ومهما يكن من أمر فإن د. حماسة يميز بين الإسناد الأصلي المقصود لذاته والإسناد الفرعي غير المقصود لذاته وقد، اِصطلح على الأول: "الإسناد الجملي" نظرا لِاِلتزامه بشرط الإفادة وبالتالي تكوين جملة مفيدة، وهو إما أن يكون بين فعل وفاعل فتكون جملة فعلية أو بين مبتدأ وخبر فتكون جملة اِسمية، أو بين الوصف ومرفوعه فتكون جملة وصفية، أما الثاني فقد اِصطلح عليه الإسناد الإفرادي نظرا لقيامه مقام الوظيفة المفردة في الجملة ويتكون من المصدر وفاعله والاِسم المشتق وفاعله وسنوضح ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

أ– ترابط المبتدأ والخبر:

الجملة حسب د مصطفى حميدة هي: " وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليا معينا."[81]، ولعل أساس التفاعل القائم بين هذه المكونات لا يخرج عن إطار علاقات وترابطات لفظية أو معنوية، والجملة الاِسمية شأنها في ذلك شأن باقي الجمل، وعناصر الإسنادية تخضع للعديد من الترابطات نحاول تقسيمها إلى ترابط معنوي وربط لفظي:

- ترابط معنوي: تنشأ علاقة الاِرتباط بين لفظين بدون رابط ظاهر، وهذه العلاقة هي العلاقة الإسنادية، فالإسناد هو: " نواة الجملة العربية، ومحور كل العلاقات الأخرى؛ لأن في اِستطاعته وحده تكوين جملة تامة، ذات معنى دلالي متكامل، هي الجملة البسيطة."[82]، والاِرتباط يقوم في الجملة الاِسمية بين المبتدأ والخبر، واِصطلح، د. حماسة على هذا النوع " الإسناد الخبري "، ويشترط فيه أن يكون الخبر هنا مشتقا أو مؤولا بالمشتق، أما المبتدأ فيسمى مسندا إليه، والخبر مسندا، ولعل جعل الخبر مسندا هو اِعتباره بمثابة الحكم الذي يسند إلى المبتدأ، ويقول حسن ظاظا في هذا الصدد: "ومن المميزات العامة للغات السامية وجود الجملة الاِسمية فيها؛ أي التي تقوم على مبتدإ وخبر دون رابطة لفظية بينهما، من فعل مساعد أو غيره، كما هي الحال في مجموع اللغات الهندية الأوروبية."[83]، غير أن الملاحظ في الجملة الاِسمية البسيطة وجود روابط أخرى غير الرابط الإسنادي، وما يمكن قوله في هذا الغنى هو إيضاح الترابط أكبر قدر ممكن.

[78]- نسرين عبدالله شنوق، الجملة الوصفية، مركز دراسات الكوفة، العدد السادس، ص: 121
[79]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 103
[80]- ن.م، ص: 103
[81]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 148
[82]- ن.م، ص: 164
[83]- حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص: 32 أورده مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 165

● ربط لفظي: وهي تلك الروابط السياقية، وسنحاول تصنيفها وفق العناصر التي حددها د. تمام حسان في كتابه: "اللغة العربية معناها ومبناها" عند حديثه عن القرائن اللفظية وذلك نظرا لوضوحها، وتتجلى في:

1- الصيغة: بأن يكون المبتدأ اِسما أو مركبا اِسميا؛

2- التعيين: بأن يكون المبتدأ معرفة أو نكرة مخصصة أو ما شابهها، فالخبر بمثابة الحكم، ونحن لا نستطيع الحكم على شيء إلا إذا كنا نعرفه [84] ؛

3- الحالة الإعرابية: وهي من أوفر القرائن حظا في اِهتمام النحاة فجعلوا منها نظرية كاملة سموها نظرية العامل[85]، والعلامة الإعرابية في المبتدأ والخبر هي الرفع سواء أكانت الصيغة مساعدة على ظهورها أم لا؛

4- المطابقة: يقول تمام حسان: "مسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، وتكون المطابقة فيما يأتي: العلامة الإعرابية، الشخص، العدد، النوع، التعيين."[86]، وقد جعل د.حماسة المطابقة من شروط الربط بين المبتدأ والخبر، وهذه المطابقة تكون في النوع؛ أي في التذكير والتأنيث إلا فيما تعذر كـ:" كل" لكن معنى التأنيث تكتسبه من خلال الاِضافة، والمطابقة في العدد؛ أي في الاِفراد والتثنية والجمع وذلك في المواضع التي يسمح فيها الوضع اللغوي بذلك؛

5 – الضمير: والربط هنا يكون حين يعود الضمير على متقدم لفظا ورتبة أو لفظا دون رتبة أو رتبة دون لفظ، والخبر – حسب د. حماسة – يتحمل ضميرا يعود على المبتدأ سواء أكان الخبر مشتقا أو مؤولا بالمشتق؛

6 – الرتبة: والرتبة عند د. تمام حسان من القرائن اللفظية، وقد تحدث عنها الدكتور حماسة بمصطلح التقديم والتأخير، فالمبتدأ رتبته محفوظة ولذلك فهو لازم للصدارة؛ أي للتقديم، وذلك مخافة اللبس خاصة إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف أو التنكير مع اِنعدام قرينة معنوية مثل: "أخِي صديقِي"؛ حيث يلتبس هنا موضع الخبر من المبتدأ مما يجعل الرتبة محفوظة، أيضا أن يكون المبتدأ محصورا في الخبر؛ حيث يقترن الخبر بإلا أو إنما مثل : "ما محمد إلا رسولٌ " ،أو أن يكون المبتدأ من الأسماء المستحقة للصدارة وهي ما سماه د. حماسة بالمعاني المتسلطة على الجملة كالاِستفهام والشرط وما التعجبية أو لام الاِبتداء المفيدة للتوكيد. بالمقابل نجد في بعض التراكب حالات تستوجب تأخير المبتدأ وتقديم الخبر وذلك في المواضع التالية: أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ "ما ناجح إلا المجدُ"، أو أن يكون الخبر مستحقا للصدارة كأدوات الاِستفهام "أين بيتك؟"، أو أن يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة من ظرف أو جار ومجرور مختصين وذلك حتى لا يلتبس الخبر بالنعت، وأخيرا أن يكون في المبتدأ ضمير يعود على الخبر، والضمير لا يعود على متأخر لفظا ورتبة. وقد أشار د حماسة في هذا الصدد إلى أن بناء الجملة الاِسمية على نمطين الأول يقدم فيه المبتدأ وهو الأصل، أو البنية الأساسية، والآخر يقدم فيه الخبر وهو ضرب من التفنن والإبداع.

---

[84]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 103

[85]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 205

[86]- ن.م، ص:212

1 - ترابط الخبر الجملة بالمبتدأ:

سبق وأن أكدنا في ما مضى أن الخبر من الوظائف الإفرادية التي تتيح للجملة المعربة أن تقوم مقامها، وهو ما أسماه د. حماسة بطول التعاقب، وبما أن الأصل في الجملة هو الاِنفصال[87] فإن الترابط ضروري بين المبتدأ والخبر الجملة حتى لا يقع المستمع أو القارئ في اللبس، وقد حشدت اللغة العربية العديد من القرائن والروابط، ولعل أبرز هذه القرائن – حسب د. حماسة – هي الضمير، والضمير المقصود هنا هو ذاك الذي يعود على المبتدأ كأنه يعيده وذلك لأن الضمير وما يعود عليه واحد في المعنى[88]، وقد تسقط الحاجة إلى هذا الضمير إذا أعيد المبتدأ في الجملة الخبرية على الشاكلة التي يكون عليها البدل المطابق ومثال ذلك الآية الكريمة : "الحاقة ما الحاقة"... فالخبر جملة اِسمية تكرر فيه مبتدأ الجملة الكبرى، غير أنه شغل وظيفة الخبرية في الجملة الصغرى، وفي أمثال هذه الحالة تستغني العربية عن الضمير، وقد أشار د. عبده الراجحي إلى أن إعادة المبتدأ تكون لأسباب بلاغية كالتضخيم أو التهويل وهذا شأن الآية الكريمة، كما بين د. تمام حسان أن إعادة اللفظ أو المعنى أو "ال" من الروابط التي تقوم مقام الضمير، وقد ناقش د. حماسة آراء الدارسين الذين تطرقوا إلى هذا الاِستغناء معتبرين ذلك دليلا على مراحل تطور اللغة قبل اِبتكارها للضمير أمثال د. علي النجدي مستدلين بالعديد من الشواهد من قبيل :

فيارب ليلى أنت في كل موطن --- وأنت الذي في رحمة ربي أطمع

فيما يخص إعادة لفظ المبتدأ أو فيما يخص قيام الألف واللام مقام الضمير كـ" مررت برجل حسن الوجه "، وقد رد د. حماسة على ذلك بأن الترابط بين الخبر الجملة والمبتدأ يتجلى في كون الخبر هو عين المبتدأ مستدلا بقول سيبوه: "واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنى عليه شيئا هو هو." [89]، وفي نفس التوجه يقول تمام حسان: "إعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة الضمير عليه لأن لفظه أقوى من الكناية عنه ويكثر ذلك في الشعر."[90]، والخبر الجملة يحتاج إلى رابط إذا لم يكن الخبر الجملة هي نفس المبتدأ في المعنى، وهي الجمل المراد بها لفظها والتي تقع بحكم المفردات كـ: " قولي لا إله إلا الله "، وما دون ذلك يستوجب وجود رابط كالضمير أو إعادة المبتدأ على النحو الذي أشرنا إليه أو إعادته بمعناه، أو الاِستعانة باِسم إشارة إلى المبتدأ، وهو يدخل في باب ضمير الشأن وما يضفيه من توكيد ومعان بلاغية أخرى على الجملة.

2 - لزوم الفاء الرابطة بين المبتدأ والخبر :

يشير د. حماسة إلى أن الخبر قد يقترن بالفاء إذا لحقت " أما " الشرطية التوكيدية على المبتدأ، ويقول د. عبده الراجحي في هذا الصدد، وأما اقتران الخبر بالفاء على درجتين: واجب وجائز، فأما الواجب في خبر المبتدأ الواقع بعد أما الشرطية، ولعل الذي جعل الاِقتران هنا واجبا هو شرطية " أما " ومثالنا في ذلك قوله تعالى : " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر "...، وكل إسقاط لهذا الرابط لا يخرج عن كونه ضرورة شعرية.

---

[87]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 165

[88]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص 89

[89]- سيبويه، الكتاب، 32/1، أورده حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 91

[90]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 216

3 - روابط إضافية :

يضيف الدكتور حماسة بعض الروابط التي وإن اِنعدمت لا تخل بالعلاقة الإسنادية غير أن وجودها يقوي الربط بين المسند والمسند إليه، ومن هذه الروابط :

1- الربط الإضافي بالفاء: وهي تدخل على المبتدأ المتصدر للجملة والخالي من النواسخ ما عدى: أن وإن ولكن، وأن يكون : موصولا صلته حرف شرط/ موصولا صلته شبه جملة/ الاِسم المنكر المنعوت بالفعل غير المشروط أو بشبه الجملة/ اِسم مضاف إلى الموصولين السابقين/ لفظة " كلّ " المضافة إلى المنعوت السابق/ الاِسم الموصوف بالموصولين السابقين مع قصد العموم واِستقبال الصلة/ الوصف المعرف بالألف واللام.

وقد أشار د. عبده الراجحي إلى هذه المواضع بأنها مواضع الاِقتران الجائز للخبر بالفاء، وقد أضاف د. حماسة أن لهذه الفاء أغراض أخرى غير الربط تتجلى في إضفاء معنى السببية والترتب على الجملة، فهذا التركيب مشابه لتركيب الشرط على حد قول الرضى (ت686هـ) في شرح الكافية، ولهذا لم يجيزوا دخول النواسخ على هذا التركيب لأنها تفسد المعنى البلاغي المقصود منه ما عدى: أن وإن ولكن لأنها لا تفسد المعنى.

2- الربط الإضافي بضمير الفصل: قد يقع بين العناصر الإسنادية للجملة الاِسمية ضمير رفع منفصل، سواء أدخل على الجملة نواسخ أم لا، وهذا الضمير يصطلح عليه بضمير الشأن ويؤتى للفصل بين المبتدأ والخبر إن كانا معرفين، ومزيته هي تقوية الربط بين المبتدأ والخبر عن طريق الفصل بين الخبر والنعت، فعن طريقه نتجنب اِلتباس النعت بالخبر، ولهذا أسماه البصريون فصلا[91]، كما أنه يزيد من توكيد الجملة فقولك " والكافرون هم الظالمون" زاد من توكيد اِختصاص الكافرين بالظلم الفاحش، واِقترانه بالخبر مشروط بـ:

أ- أن يكون ضميرا منفصلا للرفع حتى يضفي طابع التأكيد على الجملة؛
ب- أن يكون المبتدأ معرفة أو منسوخا بأحد النواسخ؛ حيث ينتفي اللبس بِاِختلاف العلامة الإعرابية؛
ت- أن يكون ما بعدها معرفا بالألف والام أو أفعل التفضيل.

وقد تتعدد المواضع التي يضاف فيها ضمير الفصل غير أن الرضى (ت686هـ) يردها لأنه لم تثبت صحتها وفق شاهد مثبت، وقد أشار د. حماسة إلى أن بنية الجملة الاِسمية المتضمنة لضمير فصل يمكن إعراب هذا الأخير فيها مبتدأً للجمة الصغرى، ولعل هذا يدل على هيمنة فكرة البنية الأساسية في التحليل النحوي.

3- الترابط بالإسناد بعد دخول النواسخ: النواسخ حسب د. عبده الراجحي هي: " كلمات تدخل على الجمل الاِسمية فتنسخ حكمها أي تغيره بحكم آخر"[92]، وبحكم البنية الأساسية

[91]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 99
[92]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 128

الموحدة للجمل المنسوخة والتي تعود إلى بنية الجملة الاِسمية فإن العلاقة الإسنادية الرابطة بين المبتدأ والخبر وما أصلهما مبتدأ وخبر داخل الجمل المنسوخة لا تتغير، وقد صنف د. حماسة النواسخ إلى ثلاثة أنواع، النوع الأول هو: النواسخ الحرفية، والثاني هو: النواسخ الفعلية، وقد ناقش د. حماسة تسميتها بالأفعال فالذي يميزها عن الأفعال الصرفية أنها أفعال ناقصة تدل على الزمان فقط دون الحدث كما أنها لا تحتاج إلى فاعل، وثالث هذه النواسخ هي أفعال الرجحان، وهي التي تنصب مفعولين، وقد أسهب د. حماسة الحديث عنها مبينا آراء العلماء العرب فيها محاولا إبراز أن الإسناد فيها يكون بين المفعولين من جهة وهو ما أسماه بالإسناد الخبري وبين الفعل ومفعوليه وهو الإسناد الفعلي، ومهما يكن من أمر في تغير المصطلحات فإن الأصل واحد وهو البنية الأساسية للجملة الاِسمية. وقد حدد د. حماسة شروط دخول النواسخ على الجملة الاِسمية في: أ- النواسخ لا تدخل على الأسماء التي لها صدر الكلام كالاِستفهام والشرط وغيرها، ويشترط في دخولها على ماله الصدارة كضمير الشأن./ ب- اِسم أنّ يجب أن يتقدم على خبرها مالم يكن شبه جملة، كما يجوز تأخير المبتدأ إذا اتصل به ضمير يعود على الخبر، فالضمير لا يعود على متأخر./ ت- كما أن خبر النواسخ لا يتقدم على ماله الصدارة كإن وأخواتها وما يفيد النفي لأنها معاني تتسلط على الجملة بأكملها. وما سوى ذلك من أنواع التقديم والتأخير لا يضر بالعلاقة الإسنادية بين ما أصله مبتدأ وخبر.

ب – ترابط الفعل مع الفاعل:

شأنها شأن الجملة الاِسمية، ترتبط العناصر الإسنادية في الجملة الفعلية بعضها ببعض عن طريق جملة من الروابط والقرائن فصل د. حماسة في ذكرها وسنحاول تفصيلها على النحو التالي:

- الترابط المعنوي: ذكرنا سابقا أن الإسناد هو بؤرة الجملة ونواتها وهو بذلك أقوى الترابطات المعنوية، وقد أشار الدكتور حماسة إلى طبيعة الإسناد الذي يجمع كلاً من الفعل والفاعل مطلقا عليه مصطلح " الإسناد الفعلي "، ولعل المقصود بالإسناد الفعلي هو تلك العلاقة المعنوية الإسنادية التي تجعل الفاعل يختص بالفعل ويتصف به؛ فجملة " خرجَ زيدٌ " تقوم على إسناد فعلي عن طريق تخصيص زيد بفعل الخروج ووصفه به، وقد تحدث الدكتور مصطفى حميدة عن العلاقة الإسنادية في الجملة الفعلية قائلا:" فأما الجملة الفعلية فتنشأ علاقة الإسناد فيها بين الفعل أو ما يقوم مقامه... ووجود الفعل في الجملة أو ما يقوم مقامه، يعد قرينة على نشوء علاقة إسناد. والعلاقة بين طرفي الإسناد هنا علاقة وثيقة لا تحتاج إلى واسطة لفظية تشير إليها."[93]، غير أن الدكتور حماسة تجاوز الطرح الذي قدمه د. مصطفى حميدة والمتعلق بأن العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل لا تحتاج إلى وساطة لفظية، وأكد في المقابل على أن هناك العديد من الروابط اللفظية التي لا تساعد العلاقة الإسنادية فقط بل تقويها وتوضحها بشكل كبير.

- الروابط اللفظية: وقد حددها د. حماسة في الروابط التالية:

1- الصيغة: أن يكون الفاعل اِسما أو مركبا اِسميا، وأن يكون الفعل مبنيا للمعلوم؛
2- الرتبة: رتبة الفعل التقديم ورتبة الفاعل هي التأخير؛

[93]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 164

3- الصلاحية للإسناد: المقصود بها أن يكون الفعل فعلا صرفيا أي متضمنا للحدث والزمن لا فعلا ناقصا ككان وأخواتها؛
4- العلامة الإعرابية: أن يختص الفاعل بالرفع في الجملة الفعلية، وقد تشترك معه التوابع في الحالة الإعرابية؛
5- المطابقة: على مستوى التأنيث والتذكير وذلك إن كان الفاعل حقيقي التأنيث، والمطابقة في الفعل تكون عن طريق تركه على حاله في التذكير أو إضافة لاصق يتجلى في ضمير التأنيث: التاء أو نون النسوة، وفي إطار إنصافه للتراث النحوي يرد الدكتور حماسة على د. عبدالرحمن أيوب الذي ذهب إلى أن نون النسوة ليست إلا مقابلا لتاء التأنيث في الجمع مما يدفع للاِستغراب عند اِعتبار الأولى اِسما والثانية حرفا، ويتجاوز د. حماسة هذا الطرح مفسرا الفرق بين كلتي الوظيفتين، فنون النسوة وتاء التأنيث لواحق، ولكل لاحقة دور خاص بها، فنون النسوية تدل على التأنيث والفاعل أيضا، في حين تقتصر التاء على التأنيث، كما أن النون تدل على الغائبات والحاضرات بينما تدل التاء على الغائبات فقط؛
6- المخالفة: ينبغي أن يخالف الفعل الفاعل في التثنية والجمع فالفعل دائما مفرد؛
7- عدم جواز الحذف: والمقصود به عدم إمكانية حذف الفاعل بِاعتباره عنصرا إسناديا مؤسسا لبنية الجملة الفعلية فـ: "من أحكام الفعل أنه لا يحذف، بل يستتر جوازا أو وجوبا."[94]، والمستتر عند الدكتور حماسة هو ذاك العنصر المعتبر في الفهم كأنه موجود، مع وجود أو تقدير ضمير يغني عن ذكره، غير أن البلاغيين اِنتبهوا إلى بعض التراكيب التي يحذف فيها الفاعل دون وجود قرينة لفظية تدل عليه، ومن أوائل هؤلاء عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) الذي قال في الحذف إنه باب دقيق المسلك... ومهما يكن من أمر فإن العرب تألف حذف ما دل عليه السياق إيثارا للخفة كما أنهم قد يحذفوا الفاعل إذا كان فاعله واحدا معلوما كقولهم "حشرجت "؛ فالحشرجة للنفس.

المبحث الثاني: ترابط الفضلات:

بعد حديث الدكتور حماسة عن أساليب اللغة في ربط وتقوية الترابط الحاصل بين العناصر الإسنادية للجملة العربية، ينتقل إلى الكشف عن وسائل الربط الأخرى التي تختص بالفضلات في المبحث الثاني: " ترابط العناصر غير الإسنادية"، ولعل تخصيص د. حماسة لمبحث كامل للفضلات يرجع إلى دور هذه العناصر في تكوين معنى الجملة وبيان المقصود منها على النحو الذي بيناه سابقا في الفصل الأول، وإذا كان الترابط في العلاقة الإسنادية حاصلا بين المسند والمسند إليه، فإن الترابط داخل العناصر غير الإسنادية يكون في غالب الأمر بين الفضلة والعنصر الإسنادي المرتبطة به؛ فالفضلة " قد يكون وجودها مؤكدا إذا اِستدعاها المسند أو المسند إليه..."[95]، ويضيف د. حماسة أنه " ليس من اللازم

[94]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 204
[95]- يوسف يحياوي، الجوانب التركيبية للجملة العربية، ص: 72

أيضا في كثير من الأحيان – في غير الحال وتمييز النسبة – أن ترتبط اِرتباطا مباشرا بعنصري الإسناد معا "[96] ويصدق القول هنا على التوابع والمتممات والمقيدات...

وتتعاون في هذا النوع من الربط العديد من الوسائل والقرائن اللفظية كالعلامة الإعرابية والتعيين والربط بالضمير... غير أن بناء الجملة العربية بالرغم من توفر هذه القرائن يشرك العديد من الألفاظ في وظيفة واحدة، وهذا الإشراك يؤدي إلى ظاهرة: "تعدد الأوجه الإعرابية للجملة الواحدة"، ويؤكد د.حماسة على أن هذه الظاهرة لا تؤدي إلى الإلباس بقدر ما تدل على غنى اللغة ومرونة نظامها النحوي بشكل يخدم الإبداع والدلالة، وقد وضح ذلك عن طريق العديد من الشواهد من بينها: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به"؛ بحيث تحتمل هذه الجملة وجهين إعرابيين وذلك على الشكل التالي:

الشاهد / الوجه الإعرابي	" وما يعلمُ تأويلَهُ إلاّ اللهُ والراسخونَ في العلمِ يقولونَ آمنّا بِهِ "
الأول	اِعتبار واو " والراسخون " لعطف المفردات فيصبح الراسخون بذلك مشتركين مع الله في العلم بتأويل القرآن، والجملة الفعلية " يقولون آمنا به " حال للراسخين.
الثاني	اِعتبار الواو لعطف الجمل فيكون التأويل محصورا في الله، أما الراسخون في العلم فمبتدأ خبره هو الجملة الفعلية؛ أي التسليم بالقرآن والإيمان به.

وقد حصر د. حماسة أنواع الترابط بين العناصر غير الإسنادية في:

أ- ترابط مقيدات الفعل:

سبق وأن أشرنا إلى أن الجملة قد تطول عن طريق العناصر غير الإسنادية، ومن بين هذه العناصر مقيدات الفعل، فالمقيدات ترتبط بالفعل باِعتباره العامل فيها، كما قد ترتبط بالفاعل عن طريق الفعل نظرا لأنهما كالشيء الواحد. وهذه المقيدات التي سيسرد لنا د. حماسة وسائل ترابطها وربطها هي المفاعيل والحال والاِستثناء والتمييز والجار والمجرور.

- الفعل مع المفعول به: ويمكن تقسيم ترابط الفعل مع المفعول به إلى:
  - ترابط معنوي: يتجلى حسب الدكتور حماسة في علاقة التعدية، وذلك عن طريق دلالة الفعل على المجاوزة، وقول د. مصطفى حميدة في هذا الصدد: "والأصل الدلالي لهذه العلاقة أن الفعل المتعدي يفتقر في دلالته إلى اِسم يقع عليه"[97]، ويستثنى من هذا الفعل اللازم، فالأفعال المقصودة بالعلاقة هي: الأفعال العلاجية وغير العلاجية، وأفعال المنح والإعطاء، هذا على مستوى دلالة الفعل، أما على مستوى المفعول فيشترط فيه أن يكون اِسما قابلا للمفعولية.

  - ترابط لفظي: بالإضافة إلى علاقة التعدية يرتبط المفعول به مع الفاعل وفقا للعديد من القرائن اللفظية حددها د. حماسة فيما يلي:

[96]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 135

[97]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 166

1- العلامة الإعرابية: يشترك المفعول به مع العديد من الوظائف في علامة النصب غير أن قيمته الاِستبدالية تتعاون مع العلامة في هذا الربط؛
2- الرتبة: رتبة المفعول به هي التأخر عن الفاعل وقد يتوسط كلاً من الفعل والفاعل وقد يتقدم الفعل أحيانا إذا كان من أدوات الصدارة أو ضميرا منفصلا، وفي بعض الصيغ يمتنع التقديم كأن يسبق الفعل بعض أدوات الصدارة كـلام الاِبتداء والقسم، أما الفاعل فلا يتقدمه المفعول به مخافة الاِلتباس...

- الفعل مع المفعول المطلق: والترابط هنا ينقسم إلى نوعين كما هو الحال في المفعول به:
  - ترابط معنوي: لم يتعرض الدكتور حماسة إلى طبيعة العلاقة المعنوية الرابطة بين الفعل والمفعول المطلق، وقد أبرزها د. مصطفى حميدة في: علاقة التحديد وهي تختص بالمفعول المطلق المبين للنوع والعدد، أما المفعول المطلق المؤكد لفعله، فيدخل في إطار علاقة التأكيد، ويقول في هذا الصدد: "يبدو أن العربية تريد من خلال علاقة التحديد بين الفعل والمفعول المطلق أن تبين الحدث الكامن في الفعل، وتزيل عنه الإبهام، وذلك بوصفه أو إضافته أو بيان عدد مرات حدوثه."[98].

  - ترابط معنوي: إضافة إلى التحديد والتأكيد هناك العديد من وسائل الربط بين المفعول المطلق والفعل حددها د. حماسة في:

1- العلامة الإعرابية: النصب هي علامة المفعول المطلق غير أنه يشترك فيها مع عدد من الوظائف؛
2- الصيغة: أن يكون المفعول المطلق مصدرا من جنس الفعل؛
3- الرتبة: وجوب التأخير عن الفعل لأنه تأكيد له أو بيان لنوعه أو عدده.

- الفعل مع المفعول لأجله: يترابط المفعول لأجله بالفعل بواسطة عدة قرائن وهي:
  - ترابط معنوي: لم يفصل الدكتور حماسة في نوعية الترابط المعنوي الحاصل بين المفعول لأجله والفعل مكتفيا بالإشارة إلى عبارة " العلية " والمقصود بالعلية هنا هي أن يكون المفعول لأجله علة لحدوث الفعل، وقد أشار د. مصطفى حميدة إلى هذه العلاقة بِاعتبارها علاقة سببية؛ يقول في هذا الإطار: "ويقتضي سياق الجملة من المتكلم أحيانا أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معينا له على بيان سبب وقوع الحدث."[99]، وقد عبر عنها د. تمام حسان بالغائية.

  - رابط لفظي: وهي مجموعة من الروابط التي تأتي لتأكيد الرابط المعنوي وتقييد المفعول لأجله بالفعل، قد لخصها د. حماسة في:

1- العلامة الإعرابية: وهي النصب شأنه شأن باقي الفضلات، والنصب هنا علامة للمفعولية؛

[98]- ن.م، ص: 176
[99]- ن.م، ص: 177-176

2- الصيغة: وقد اِشترط العرب فيه أن يكون مصدرا، ويزيد د. حماسة أن هذا المصدر يجب أن يكون قلبيا لكيلا يلتبس بالمفعول المطلق وهذا ما يعني ضرورة مخالفته لمادة الفعل؛
3- المشاركة: ومعناها تشارك الفعل والمفعول له في الفاعل وزمن الحدوث؛
4- الرتبة: في الأصل رتبة المفعول لأجله التأخر عن الفعل، لكن يجوز تقديمه على عامله وذلك لأغراض بلاغية...

- الفعل مع المفعول فيه: والترابط هنا أيضا نوعان:
  - ترابط معنوي: يشير د. حماسة إلى الرابط المعنوي بين الفعل والمفعول فيه بأن يتضمن هذا المفعول معنى "في" باِطراد؛ والمقصود بذلك أن تتضمن معنى الظرفية التي تضفيه "في" المضمرة داخل الجملة؛ كقولنا " سرت يومَ الجمعةِ " " سرت في يومِ الجمعةِ"، وقد أشار د. تمام حسان إلى هذه العلاقة باِسم الظرفية، ويحددها د. حميدة قائلا: "ومن الواضح في العربية قوة الدلالة الكامنة في حرف الجر "في" على الظرفية."[100].

  - ترابط لفظي: وقد حدده د. حماسة فيما يلي:
1- العلامة الإعرابية: وهي النصب؛
2- الصيغة: بأن يكون الاِسم صالحا للظرفية أو مصدرا نائبا عن الظرف؛
3- الرتبة: نظرا لترابط شبه الجملة المكونة من الظرف أو الجار والمجرور بالفعل أو ما تتعلق به سواء أكان مصرحا به أو مضمراً فإن للظرف حرية مطلقة في التقدم أو التأخر على متعلقه.

- الفعل مع المفعول معه: والترابط فيه على نوعين أيضا:
  - ترابط معنوي: أشار د. حماسة بشكل ضمني إلى العلاقة المعنوية التي تربط المفعول معه بالفعل؛ حيث بين أنها تتجلى في دلالة الجمع التي تحتويها الواو الرابطة، وتسمى هذه العلاقة المعنوية بالمعية وهي واضحة من اِسم الواو الرابطة، ويقول د. تمام حسان في هذا الصدد: "وأما المعية فهي قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبة على غير طريق العطف والملابسة الحالية." [101].

  - ترابط لفظي:

1- الحالة الإعرابية: وهي النصب ؛
2- الربط: ويقوم بدور الربط هنا الواو التي تحمل معنى الجمع لا العطف؛

[100]- ن.م، ص: 174
[101]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 196

3- الرتبة: لزوم التأخر عن الفعل، ويضيف د. حماسة على هذه الروابط وجود مانع لغوي لعلاقة العطف كأن تكون الواو بعد ضمير متصل للرفع أو مستتر، هذا فضلاً عن وجود مانع معنوي متعلق بدلالة المصاحبة على النحو الذي ذكرناه سابقا.

- ترابط الحال بجملته: تترابط الحال مع الفعل عن طريق ترابطها مع صاحبها الذي قد يكون فاعلا لها أو مقيدا، والحال من الوظائف التي تحل محله الجملة أو شبه الجملة وتقوم بوظيفته النحوية، ولهذا حاول د. حماسة أن يفصل الحديث عن ترابط الحال بجملتها بِاعتبارها مفردا من جهة وباِعتبارها جملة من جهة ثانية:
  - ترابط معنوي: كيفما كان نوع الحال مفردا أو جملة فإن العلاقة المعنوية تظل واحدة وهي حسب د. حماسة دلالة الحال على الهيئة، يصطلح د. تمام حسان ود. مصطفى حميدة عله بعلاقة الملابسة، "وهي قرينة معنوية على إفادة معنى الحال بواسطة الاِسم المنصوب أو الجملة مع الواو أو بدونها."[102]، ويضيف د. حماسة إلى ذلك "كون صاحبها صالحا للهيئة... وهنا لابد أن يكون معرفة أو نكرة مخصصة. "[103]، هذا فيما يتعلق بالحال الجملة.

  - الربط اللفظي: وهو يختلف حسب نوعية الحال:

أ – الحال المفردة:

1- العلامة الإعرابية: النصب؛

2- المخالفة: بأن تكون مخالفة لصاحبها في التعيين؛

3- الصيغة: أن تكون الحال مشتقة؛

4- الرتبة: جواز تقديم الحال على الفعل والفاعل إن لم يكن الفاعل ضميرا.

ب – الحال الجملة أو شبه الجملة:

1- الربط: من وسائل اللغة في ربط الحال الجملة أو شبه الجملة بصاحبها وجود ضمير أو حرف واو يسمى بواو الحال، فالضمير يعود على صاحب الحال، أما الواو فلتقوية الربط في الجملة الاِسمية، وإن لم يوجدا قُدِّرَا، وأما إن لم يقدرا فهذا راجع لاِنعدام اللبس ووضوح دلالة الملابسة. وقد تحذف الواو لوجود حرف عطف يربط جملة الحال بالجملة الكبرى، أو وجود كمال اِتصال بأن تكون الجملة الحالية مؤكدة للجملة الكبرى، أو أن تكون الحال جملة فعلية ذات فعل ماض مسبوق بلا أو تقع بعده أو ذات فعل مضارع منفي بلا أو ما أو مثبتا غير مسبوق بلا؛

2- وجود "قد" بعد الفعل المضارع؛

---

[102]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 198

[103]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 160

3- المزامنة: بأن تكون الجملة مصاحبة للفعل أو قريبة منه؛

4- الخبرية: أي أن تكون الجملة الحالية جملة خبرية محتملة للصدق أو الكذب؛

5- المحلية: أي أن تكون في محل نصب حال.

- ترابط تمييز النسبة وجملته: تحدث د. حماسة عن تمييز النسبة أو التمييز المحول نظرا لاِرتباطه بالفعل عكس التمييز المفرد المتمم للاِسم، والترابط في هذا الصنف ينقسم إلى:
  - ترابط معنوي: يشير د. حماسة إلى أن الجانب المعنوي في ترابط تمييز النسبة بجملته هو تقديره بمن، وهو أهم ما يميز التمييز عن غيره، ويصطلح د. حميدة على هذه العلاقة بعلاقة التمييز ويقول: "أما تمييز الجملة ففيه بيان وإزالة للإبهام الذي قد يعتري علاقة الاِرتباط بطريق الإسناد بين الفعل والفاعل أو علاقة الاِرتباط بطريق التعدية بين الفعل المتعدي والمفعول به" [104]، ويضيف د. حماسة إلى ذلك صفة التأكيد والمبالغة على النحو الذي يشير إليه اِبن يعيش (ت643هـ).

  - ربط لفظي:

1- العلامة الإعرابية: النصب؛
2- التعيين: أن يكون نكرة دالة على الجنس.

- ترابط المستثنى بجملته: المستثنى الذي خصه د. حماسة بالحديث هنا هو المستثنى النحوي، والمقصود بالمستثنى النحوي: الاِسم المنصوب أبدا لأنه مستثنى، ويخرج عن ذلك المستثنى اللغوي والذي يتميز بالرفع، ويترابط المستثنى مع جملته على النحو التالي:
  - ترابط معنوي: وقد عبر د. حماسة عن هذا الترابط المعنوي بقوله: " وينضم إلى ذلك كون الاِسم خارجا عن الحكم المقرر لما قبله إثباتا أو نفيا."[105]، وقد عبر عنه د. تمام حسان بعلاقة الاِخراج، ويوضحه بمثال: "جاء القوم إلا زيداً" فإننا قد أسندنا المجيء إلى القوم وأخرجنا زيداً من هذا الإسناد."[106].

  - ربط لفظي: تتعاون عدة قرائن في التركيب ليكون الاِسم المستثنى نحويا وقد حددها د. حماسة في:

1- العلامة الإعرابية: النصب، فالاِستثناء النحوي هو ما كان منصوبا على أنه مستثنى؛

---

[104]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 179
[105]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 171
[106]- تمام حسان، بناء الجملة العربية، ص: 199

2- الأداة: والأداة المقصودة هنا هي الأدوات الداخلة على المفردات والتي حدد د.تمام حسان رتبتها في الصدارة دائما، وقد صنف د. حماسة أدوات الإستثناء على الشكل التالي: حرف " إلا " أسماء " غير، سوى " المنصوبتان، أفعال " لا يكون، ليس، عدا وخلا ".

- ترابط الجار والمجرور بالفعل: وهو حسب د. حماسة من أقوى الوظائف ترابطا بالفعل، وهذا يدل على قوة العلاقة المعنوية التي تربط الجار والمجرور بالفعل وسنوضحها على الشكل التالي:
  - ترابط معنوي: يعبر د. حماسة عن قوة الترابط الحاصل بين الفعل والجار والمجرور بلفظ التعلق، ويعبر د. تمام حسان عن هذه العلاقة بعلاقة النسبة، فحروف الجر تناسب معاني الأفعال إلى الأسماء وتضيفها إليها، فضلا عن إضفاء معنى اللزوم إلى بعض الأفعال الأخرى وقد أشار إليه د. حماسة ومن سبقه من النحاة بالتضمين، كأن يتضمن فعل معنى الآخر، فالأول اِستُخدِمَ لفظيا والثاني معنويا.

  - ربط لفظي: لم يحدد د. حماسة بشكل مباشر وواضح طبيعة الرابط اللفظي بين الفعل والجار والمجرور وربما يرجع ذلك إلى طبيعة علاقة التعلق، وقد تحدث الكاتب هنا عن حروف الجر والمعاني التي تضفيها على هذه العلاقة؛ فإضافة معنى الفعل إلى الاِسم لا يكون هكذا بشكل آلي، بل تدخل فيه تحديدات أخرى أبرزها معنى حرف الجر؛ فعن مثلا للمجاوز أما في فللظرفية. ..

ب - ترابط التابع بمتبوعه:

يوضح د. حماسة أن التوابع ترتبط بالجملة عن طريق ترابطها بمتبوعاتها، " فالعمد والفضلات لها شخصيات إعرابية كالرفع في المبتدأ والنصب في المفعول مثلا أما التوابع التي نحن بصددها فليست لها مثل هذه الشخصية، إذ هي تابعة لمتبوعها في إعرابها من رفع أو نصب أو غيرهما."[107]، ويبرز الكاتب العلاقة الوثيقة بين التابع والمتبوع عن طريق تحديدات الرضى(ت686هـ) وابن يعيش بوصف هاتين الوظيفتين اِسما واحدا في الحكم، والتوابع التي يتحدث د. حماسة عنها هنا هي: النعت، التوكيد، العطف بنوعيه والبدل.

- النعت:

يبرز د. حماسة أن النعت من الوظائف التي تعقبها الجملة، لذلك سيتحدث عن ترابط النعت المفرد بمنعوته من جهة، والنعت الجملة بمنعوته من جهة ثانية وذلك عبر قرينتين:
  - ترابط معنوي: التخصيص والإيضاح هي القرينة المعنوية التي حددها د. حماسة في هذا الباب وقد أكد ذلك من خلال قول السيوطي(ت911هـ): "النعت في الأصل إيضاح أو

[107]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص: 469

تخصيص"[108]، وقد أطلق د. مصطفى حميدة على هذه العلاقة مصطلح العلاقة الوصفية؛ حيث يقول: " تنشأ علاقة الاِرتباط بين النعت المفرد والمنعوت بطريق علاقة الوصفية، وهي علاقة تؤدي إلى إزالة ما في المنعوت من إبهام، ببيان معنى فيه، لا ببيان حقيقته. "[109].

- ربط لفظي: من وسائل الربط التي يقدمها النظام اللغوي للمنعوت والتي حددها د. حماسة نذكر:

1- العلامة الإعرابية: المطابقة في الإعراب من خصائص النعت بِاعتباره من التوابع وهذا ما ينفي عنه خاصية الشخصية الإعرابية، فهو لا يختص بعلامة ثابتة، بل يتبع المنعوت في علامته الإعرابية؛
2- المطابقة: وذلك في التعيين والعدد والنوع، ويعقب د. حماسة فيما يخص النوع مبينا أنه لا يشترط النوع في النعت ذي الصيغة التي يستوي فيها المذكر بالمؤنث سواء بسقوط أو لزوم تاء التأنيث؛
3- الصيغة: وهي أن يكون النعت مشتقا أو مؤولا بالمشتق.
أما بالنسبة للنعت الجملة فقد حدد د. حماسة قرائنه في:
1- التعيين: بأن يكون المنعوت نكرة، فالجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال؛
2- الخبرية: بمعنى أن تكون الجملة خبرية وذلك بِاحتمالها للصدق أو الكذب؛
3- الربط: بأن يوجد ضمير في الجملة يعود على المنعوت أو ما ينوب عنه من ألف ولام، ويضيف د. حماسة التعلق بالنسبة للنعت شبه الجملة؛ حيث يكون المتعلق به هو المنعوت.

- التوكيد:

وهو تلك الوظيفة التي تقوم على تقوية الكلام السابق ورفع الاحتمال عنه إما بإعادة اللفظ بعينه، أو اِستخدام ألفاظ خاصة بهذا الغرض. وبهذا نجد أن الترابط هنا حاصل بين التوكيد والمؤكد، وهذا الترابط على نوعين:

- ترابط معنوي: لم يتحدث د. حماسة عن القرينة المعنوية التي تربط التوكيد بمتبوعه، غير أننا سنشير إليها لأهميتها، فالعلاقة المعنوية التي يترابط في إطارها التوكيد مع المؤكد هي علاقة " التأكيد "، بيد أن ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن وضوح هذه العلاقة في التوكيد اللفظي هي التي جعلته يرتبط بمتبوعه دون أي قرينة لفظية، وهذا ما أكده د.حماسة على نحو غير مباشر، فقوة الترابط هنا تتيح لنا إعادة العنصر المراد تأكيده كيفما كان نوعه اِسما أو فعلا أو ضميرا أو جملة...

- ربط لفظي: يتضح الربط اللفظي في هذه الوظفية أكثر عندما نتحدث عن التوكيد المعنوي، واِقترانه بالأسماء يتجلى في تكرارها بالمعنى لا باللفظ، وقد حدد د. حماسة هذه

[108]- السيوطي، الهمع،5 /176، أورده حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 178
[109]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 182

الألفاظ التي تكرر معاني الأسماء في: "النفس والعين" لرفع المجاز عن الذات، " كلا وكلتا " للمثنى، "كل وجميع" للجمع والمفرد ذو الأجزاء، ومن عناصر الربط اللفظي التي ذكرها د.حماسة نخص بالقول:

1- العلامة الإعرابية: شأن التوكيد شأن باقي التوابع، فالتبعية في العلامة الإعرابية من عناصر ربط التوكيد بنوعيه؛
2- الأداة: وهي الضمير؛ حيث لابد من وجود ضمير يعود على المؤكد مطابقا له، ويضيف د. حماسة أن أجمع وأجمعون وجمعاء لا يُؤكد بها إلا إذا اِقتُرنت بكل، وهذا ما فسر عدم اِقترانها بالضمير ويؤكد ذلك بقول اِبن هشام (ت761هـ) :" فلهذا اِستغنت أن يتصل بها ضمير يعود على المؤكد"[110]؛
3- المطابقة: بالإضافة إلى المطابقة في العلامة الإعرابية، نجد المطابقة في التعريف وذلك في التوكيد المعنوي.

- البدل:

والمقصود به في اللغة: العوض، وعند النحاة هو: "التابع المقصود بالحكم بلا وساطة"[111]، وبذلك فنحن أمام بدل ومبدل منه، وهما اِسمان يأتي أحدهما لتبيان الآخر وإزالة التوهم عنه، وتحدث د. حماسة عن عدة أنواع من البدل كالبدل المطابق وبدل بعض من كل وبدل الاِشتمال، وقد أضاف إلى هذه القائمة بدل البداء معلقا عليه بأنه يختص بالكلام المنطوق دون سواه. ويترابط البدل والمبدل منه في هذه الأنواع على الشكل التالي:

- ترابط معنوي: بين د. حماسة أن البدل هو تكرار للمبدل منه بطريقة أخرى غير أنه لم يشر إلى المصطلح الواصف لهذه العلاقة المعنوية، وقد عبر عنها د. مصطفى حميدة بـ: "علاقة الإبدال"[112]، وتظهر هذه العلاقة بشكل جلي في البدل المطابق، وذلك لأن البـــدل – حسب د. حماسة – هو عين المبدل منه وليه فإنه لا يحتاج إلى رابط.

- ربط لفظي: من القرائن اللفظية التي ذكرها د. حماسة نجد:

1- العلامة الإعرابية: وتتجلى في مطابقة علامة البدل لعلامة المبدل منه، كما أنها تعتبر الرابط الوحيد في البدل المطابق وبدل البداء والرابط الأول في باقي أنواع البدل؛
2- الأداة: وهي الضمير الذي يعود على المبدل منه في بدل الاِشتمال وبدل بعض من كل، وإن لم يكن ظاهرا قُدِّر، وهناك من أجاز عدم وجود ضمير، لكن الأمر كله يعود إلى التقدير الذي هو الأصل.

[110]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 174
[111]- ن.م، ص: 187
[112]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب بناء الجملة العربية، ص: 186

- عطف النسق:

والمقصود به أن يتوسط بين التابع والمتبوع حرف عطف، وحروف العطف عشرة منها ما يأتي للإشراك في اللفظ والمعنى معا، ومنها ما يأتي للإشراك في اللفظ فقط، والترابط هنا نوعان:

- ترابط معنوي: عبر د. حماسة عن الترابط المعنوي الحاصل في عطف النسق بلفظ "المشاركة"، وهذه المشاركة تكون عن طريق الإشراك في الحكم إثباتا أو نفيا، أو المخالفة فيه، وتختلف علاقة الإشراك بإختلاف حرف العطف المستخدم في الجملة ودلالته السياقية، فمنها المشرك في اللفظ والمعنى، ومنها المشرك في اللفظ فقط.

- ربط لفظي:

1- العلامة الإعرابية: كغيره من التوابع، يتبع المعطوفُ المعطوفَ عليه في الإعراب؛
2- الأداة: ما يميز عطف النسق هو ضرورة وجود أداة عاطفة فيه، ونظرا لغنى الدلالة، فإن هذه الأدوات تتغير بتغير المعنى السياقي للعطف، وقد أوضح د. حماسة هذه الأدوات على الشكل التالي: أدوات الإشراك اللفظي والمعنوي: "الواو" لمطلق الجمع، "ثم" للغاية والتدريج، "حتى" للغاية، "أو" لأحد الشيئين، "أم" المسبوقة بهمزة للتسوية أو التعيين،" لا " للمخالفة، " لكن" المسبوقة بنفي للاِستدراك، "بل" للإضراب عما قبلها والاِهتمام بما بعدها.

ج- ترابط عناصر المركب الاِسمي:

سبق وأن تحدث د. حماسة في الفصل الأول عن طول الجملة اِنطلاقا من العناصر الإسنادية مبرزا أن هناك وظائف يقوم مقامها مركب اِسمي، والمقصود بالمركب الاِسمي هنا " كل مجموعة من وظائف نحوية ترتبط بعضها ببعض عن طريق غير التبعية لتتمم معنى واحدا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة، وأن يكون عنصرا واحدا في الجملة؛ بحيث إذا افردت هذه المجموعة لا تكون جملة مستقلة."[113]، ويتحدد المركب الاِسمي في: المركب الإضافي، المصدر المؤول، الأسماء التي تحتاج إلى ما يحتاج إليه فعلها، الاِسم الموصول، والاِسم المميز، ويستثني الدكتور حماسة من المركب الاِسمي كل من المركب المزجي مثل: "بعلبك" والمركب الإسنادي الذي أصله جملة: "جاد الحق" وما ركب تركيب بناء الأعداد وأمثال هذا التركيب من الأسماء كـ: خمسة عشر وصباح مساء. وقد فصل د. حماسة القول في ترابط عناصر المركب الاِسمي، وسنحاول عرض ذلك كما يلي:

1- الاِسم الموصول وصلته:

يشير د. حماسة إلى أن جملة الصلة تترابط عناصرها ترابط إسناد ويجري عليها من وسائل الطول ما هو جار على سائر الجمل لهذا لابد لها من رابط بالاِسم الموصول الذي يتصدرها حتى لا يُتوهم اِستقلالها عن الجملة المكونة لها، ولذلك يكون الفضل – حسب د. حماسة – للاِسم الموصول في

[113]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 197

تحويل هذه الجملة إلى عنصر واحد داخل جملة أخرى، والموصول إما أن يكون اِسما " الذي، التي، الذين، الآلي، الآلاء اللائي، اللاتي " أو ما يصح اِستبداله بهذه الأسماء من الأحرف المصدرية " ما ".

أما فيما يخص الروابط فكلها متعلق بالجملة:

1- أن تتضمن ضميرا عائدا على الموصول؛

2- أن تكون جملة خبرية؛

3- أن تكون شبه جملة تامة ومفيدة.

2 - المصدر المؤول:

يتكون المصدر المؤول من حرف مصدري "أنْ" وجملة فعلية، وتكمن وظيفة الحرف المصدري في تأويل الفعل بمصدر مثلا: "أن تصوموا" = "صيامكم"، والملاحظ أن الجملة قبل دخول الحرف المصدري تكون مستقلة إلى أن يدخل عليها، الشيء الذي يدفعنا إلى اِستبدالها بالمفرد، وبالتالي فالترابط هنا حاصل بين الجملة والحرف المصدري وهو ترابط ملحوظ.

3 - التركيب الإضافي:

يستعين د. حماسة بفكرة البنية الأساسية لتحديد عناصر ترابط المركب الاضافي (المضاف + المضاف إليه)حيث لاحظ أن هذا الترابط يكون عن طريق تحقق أمور خاصة كاِنعدام التنوين والجمع والتثنية، واِقترانه بـــ: "ال" إذا كان المضاف وصفا وكان المضاف إليه فيه ال وإذا كان المضاف مفردا أو مضافا لما فيه "ال"، فضلا عن علامة الجر، وقبول المضاف إليه الجملة الاِستبدال بالمفرد إذا كان المضاف اِسما مبنيا.

والإضافة نوعان تبعا للبنية الأساسية فإذا كانت أصلية كانت الإضافة معنوية، وإن كانت مزدوجة سميت إضافة لفظية كـأن يكون المضاف فاعلا أو مفعولا به، وقد ينضاف إلى هذا وجود معنى فرعي لحرف جر معين في الإضافة كـ: اللام ومن...

4- الاِسم المميز بتمييز الذات:

تظل فكرة البينية الأساسية ملازمة للتفسيرات التي يقدمها د. حماسة بخصوص ترابط عناصر المركب الاِسمي في الاِسم المميز بتمييز الذات حيث يشير إلى أن البنية الأساسية هنا تنبثق عنها بنى أخرى منها ما يتعلق بالتركيب الإضافي بمعنى "من" ومنها ما يشكل الاِسم المميز ويظهر ذلك بشكل كبير في البنية الظاهرة وإعرابها " ثوبُ خزٍ" و" ثوبٌ خزاً " وبالتالي فالعلامة هنا هي النصب، كما أن د.حماسة يشير أنطلاقا من تحديد اِبن يعيش (ت643هـ) للتمييز أنه محول عن أصله وذلك بوصف الشيء بمقداره أو كميته... إلا أنه تم تقديم الوصف حتى لا يلتبس التركيب بالصفة.

5 - الأسماء التي تحتاج إلى ما يحتاج إليه أفعالها:

يؤكد د. حماسة أن ما يميز هذا النوع من التركيب هو الترابط الإسنادي، وهذا الإسناد يسمى إسنادا إفراديا؛ أي أنه لا يكون جملة مفيدة بل يدخل في تكوينها شريطة عدم وقوعه في صدر الجملة وإلا عُدَّ إسنادا تاما، هذا في ما يخص ترابط عناصر المركب، أما ربط المركب بالجملة المكون لها، فإن ذلك يتم عن طريق الاِسم المحوري في المركب كأن يكون مقيدا أو متعلقا بإحدى الوظائف في الجملة، هذا ويشترط في هذا الاِسم أن يكون عاملا إذا توافرت فيه مجموعة من الشروط: كأن يكون المصدر موازٍ لـ "أن" والفعل و"ما" والفعل، وأن يكون اِسم الفاعل مسبوقا بأل أو بمبتدأ أو بموصوف أو صاحب حال.

المبحث الثالث: ترابط الترتب:

سبقت الإشارة في الفصل الأول وتحديدا في مبحث طول الجملة عن طول الترتب وذلك باِعتباره عنصرا من عناصر إطالة الجملة، وذلك بأن تتوقف جملة على أخرى باِعتبارها جوابا وتكملة لها، ويبين د. حماسة أن البنية الأساسية لهذين الجزأين إما أن تكون جملة فعلية أو اِسمية، فضلا عن تأكيده أن هذا الترتب لا يفك عن دلالة الرابط الذي يدل على عدم اِستقلال جملة الترتب عن الجملة المترتبة عنها، والرابط الأكثر دلالة على ذلك هو "الفاء" لما فيها من تسبب ونتيجة... وتختلف الروابط والتي تؤلف بين الجملة المترتبة والمترتب عنها حسب اِختلاف صيغه اللغوية والتي حددها د. حماسة في: "الشرط، الجزم في جواب الطلب، الفعل المضارع المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية، والقسم"، وسنحاول تبيان ذلك وعرضه كما يلي:

أ- الشرط:

بالنظر إلى البنية الأساسية للشرط: (حرف شرط + ج فعلية مضارعها مجزوم + ج فعلية مضارعها مجزوم) فإن الترابط يتجلى حسب د. حماسة في علاقة الشرطية التي تجعل الجملة الثانية مترتبة عن الأولى والأولى سببا وشرطا في حدوث الثانية، أما فيما يتعلق بالربط فالعلامة الإعرابية الظاهرة أو المقدرة والمتجلية في الجزم دليل عليه، وقد تتغير البنية الظاهرية للشرط كأن يستبدل حرف الشرط باِسم يدل على معناه فيتغير بذلك البناء ككل؛ حيث تصبح الجملة المضارعة ماضوية، غير أنها قد ترد إلى أصلها بالتقدير، وقد يستلزم وجود رابط إضافي يتجلى في الفاء إذا وقع كل ما لا يصلح أن يكون شرطا جوابا للشرط، وقد حددها د. حماسة في: "الج الاِسمية – الج الطلبية – الج الفعلية ذات الفعل الجامد أو المسبوق بقد والسين – الج الفعلية المنفية بـ"لن" "، وقد تكون إذا الفجائية رابطا إذا كان الجواب ج اِسمية، أما اذ كانت البنية الأساسية مختلفة (لما + ج فعلية ماضوية + ج فعلية ماضوية) تجلى الرابط في اِعتبار جملة الجواب في محل جر بالإضافة واِعتبار الظرف متعلقا بفعل الجواب، وإن كانت البنية (إذا + ج فعلية ماضوية أو مضارعة + ج فعلية) فيجوز فيها جزم المضارع ويترك إن أتت ماضوية، أما إن كانت البنية (لو + فعل ماض وفاعله + فعل ماض وفاعله) فيكون الربط عن طريق تعلق جلمة الجواب بجملة الشرط كأن تمتنع الأولى والثانية، وأما إن كانت جملة الشرط مضارعة كان الربط هو الجزم أو جاز أو اللام أيضا إذا كان الجواب ماضيا مثبتا... ويفصل د. حماسة في ما قد يطرأ على البنية الظاهرية من تغيير وجهود النحاة في تأويله وإرجاعه لأصله وفق البنية الأساسية...

ب- جزم المضارع في جواب الطلب:

لا يشير د. حماسة بشكل مباشر إلى الترابط في هذه الصيغة اللغوية غير أننا نلاحظ اِستخدامه لعبارة الترتب، فالعلاقة هنا هي علاقة ترتب، أما الربط فيكون عن طريق العلامة الإعرابية للفعل وهي الجزم، أما إن كانت الرفع فهذا يسقط معنى الترتب، ويبين بذلك أن النحاة فسروا هذا التركيب قياسا على تركيب الشرط؛ أي أن لهما بنية أساسية مشتركة ومتشابهة.

ج- نصب المضارع بعد الفاء والواو:

يُرجع د. حماسة الترابط هنا إلى علاقة الترتب، أما الربط فدور العلامة الإعرابية والمتجلية في نصب الفعل المضارع بعد النفي أو الطلب المحض وهو نصب بإضمار "أن"، وكل اِختلاف في العلامة يؤدي معنى مختلفا، ويوضح د. حماسة هذه الاِختلافات ويفصل فيها اِنطلاقا من تفسير مكي بن أبي طالب (ت437 هـ) وهذا يبين غنى اللغة العربية ودقتها في التعبير.

د- ترابط جواب القسم بالقسم:

تترابط جملة القسم بالقسم عن طريق علاقة التأكيد والإثبات لدرجة أن كليهما يعتبر جملة واحدة رغم حصول حذف في الجملة الفعلية المكونة للقسم والاِكتفاء بالجار والمجرور المتعلق به، وقد فصّل د.حماسة الحديث في ذلك، أما بخصوص الربط فيتجلى في اللام إذا كان جواب القسم جملة فعلية موجبة يضاف إليها النون في المضارع وقد في الماضي، أما إن كانت الجملة اِسمية فتقترن بأن واللام أو أحديهما، أما إذا دخل عارض على جملة الجواب كالنفي فيكون إما بما في الجملة الاِسمية والفعلية الماضية أو بلا في الجملة الفعلية المضارعة، وتختلف الروابط إذا كان جواب القسم جملة إنشائية فكل اِختلاف في المعنى يصاحبه اِختلاف في المبنى.

تركيـــــــب:

في الختام نلاحظ أن الدكتور حماسة عبداللطيف حاول من خلال فصله هذا المعنون بـ " ترابط أجزاء الجملة ووسائله " التعرض لموضوع الاِرتباط والربط داخل الجملة العربية، فباِعتبارها بناء يتكون من مجموعة من العناصر على النحو الذي رأيناه في الفصل الأول، فإن هذا البناء لكي يتسم بالإحكام والمتانة لابد أن يكون مترابطا ومتسقا، بل وإن كان الغرض من الجملة هو إبلاغ قصد معين، فإنها لا تبلغ هذا القصد التواصلي إلا بحصول اِنسجام معنوي ولفظي بين مكوناتها، وخير دليل على ذلك إنكارنا للكلام المبعثر نظرا لعدم انسجامه.

وقد اِستطاع د. حماسة اِنطلاقا من هذه الفكرة اِستقراء الوسائل التي تعتمدها اللغة في ربط أجزائها بعضها ببعض، لكن قبل ذلك أشار إلى مجموعة من العلاقات المعنوية التي تؤدي بالعناصر المحققة للبنية الأساسية إلى ترابط ذاتي ظاهر من دلالتها المعجمية والتركيبية، ويمكن ملاحظة ذلك من عنوان الفصل؛ حيث قدم مصطلح الترابط الذي قلنا إنه يكون بدون واسطة لفظية على مصطلح الوسائل التي تشير إلى القرائن اللفظية الرابطة بين عناصر الجملة.

وتماشيا مع طبيعة التقسيم النحوي الشائع الذي يصنف عناصر الجملة إلى مكونات إسنادية، وأخرى غير إسنادية، قسم د. حماسة فصله إلى ثلاثة مباحث، الأول يعالج وسائل الاِرتباط والربط بين العناصر الإسنادية، وقد تطرق فيه إلى ترابط مكونات الجملة الإسمية من جهة والجملة الفعلية من جهة ثانية، وقلنا إن الإسناد هنا هو العلاقة الكبرى المشتركة بين كلتي الجملتين، أما فيما يخص الروابط اللفظية فتختلف وتتعدد إما لتقوية العلاقة الإسنادية أحيانا، وإما لضمان عدم اللبس أحيانا أخرى، نفس الأمر رأيناه في المبحث الثاني الذي عالج فيه الاِرتباط والربط بين العناصر غير الإسنادية خاصة مقيدات الفعل ومتممات الاِسم، وتبينا تعدد العلاقات المعنوية في هذا الباب وتعدد الدراسات حولها؛ حيث اِعتمدنا على كتاب " نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية " للدكتور مصطفى حميدة لتوضيح هذه العلاقات نظرا للإشارة الخاطفة التي اِقتصر عليها د. حماسة في عرضها، وتبقى طبيعة التعدد في الروابط اللفظية وسيلة من وسائل اللغة في ضمان أمن اللّبس بين الوظائف والبنى.

كما نلاحظ أن العلاقة الإسنادية ليست حكرا على العناصر الإسنادية في الجملة فقط، بل يمكن أن توجد هذه العلاقة أيضا داخل مركب اِسمي يقوم مقام وظيفة إفرادية داخل جملة معينة، وهذا يفسر قدرة اللغة العربية على التعبير بنحو بليغ ودقيق، فالمعنى المركب قد لا يستقيم التعبير عنه إلا بالتركيب المركب أيضا.

وقد أضاف د. حماسة محورا ثالثا تناول فيه وسائل الترابط والربط بين الجمل خاصة منها الأسلوبية كالشرط والقسم إلى غير ذلك، وقلنا أنه تجاوزا لتوهم اِستقلال الجملة عن الأخرى اِعتمدت اللغة علاقة الترتب كعلاقة معنوية من جهة، والوسائل اللفظية المتعددة أهمها الضمير والعطف كعلاقة لفظية من جهة ثانية، وقد كان هذا بمثابة تأكيد لما رأيناه في الفصل الأول خاصة الشق المتعلق بطول الجملة تحديدا طول الترتب.

وعليه فإن العبارة المفيدة البليغة ليست نتاجا لعملية بسيطة، بل هي عملية مركبة، وإن صح يمكن أن نصطلح عليها أنها "كيمياء" تتفاعل فيه مجموعة من العناصر عن طريق عدة ترابطات وروابط تحاول قدر الإمكان التوفيق بين البنية الأساسية للجملة والبناء الظاهري لها، كما أنها تراعي أيضا القصد التواصلي للمتكلم، وسنتعرف علة هذا بشكل مفصل في عرض الفصل الثالث.

الفصل الثالث: عوارض بناء الجملة

توطئـــة:

بعد حديث د. حماسة عن العناصر المكونة للجملة ووسائل اللغة في ترابط وربط هذه العناصر ينتقل المؤلف إلى فصل المقال في العوارض التي تصيب الجملة العربية وذلك اِنطلاقا من فكرة البنية الأساسية والتي تعد نقطة تحول في البحث والتحليل النحوي عنده.

بيد أنه قبل تفصيل القول في ذلك لابد من الإشارة إلى المقصود بالعارض وتحديد هذا المصطلح، فهو في اللغة من مادة: ع ر ض، يقول اِبن منظور (ت711هـ): "وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واِعترَضَ: اِنتَصَبَ ومَنَعَ وصار عارِضاً كالخشَبَةِ المنتصبةِ في النهر والطريق ونحوها تَمْنَعُ السالكين سُلوكَها. .. وقد عَرَضَ عارِضٌ أي حال حائلٌ ومَنَعَ مانِعٌ؛ ومنه يقال: لا تَعْرِضْ ولا تَعْرَض لفلان أي لا تَعْرِض له بمَنْعِك باعتراضِك أن يَقْصِدَ مُرادَه ويذهب مذهبه."[114] وبذلك يتضح أن المقصود بالعارض هو المانع، فيقال: "عرض له عارض" أي منعه مانع، ولعل المعنى اللغوي يرتبط اِرتباطا وثيقا بالمعنى الاِصطلاحي للعارض حيث يحدده د. حماسة قائلا: "هذا البناء تعرض له عوارض مختلفة تحوله من معنى إلى آخر مع المحافظة على البنية الأساسية... وقد تعرض في بناء الجملة عوارض لا تضيف معنى جمليا جديدا، ولكنها تعد تصرفا في المعنى الأساسي الأول." [115]، ويشير في نفس السياق د.رفاعي طه أحمد: "والمعروف أن الجملة العربية تتكون من ركنين أساسيين المسند إليه والمسند وهما المبتدأ والخبر في الجملة الاِسمية والفاعل أو نائبه والفعل في الجملة الفعلية، وكل ركن من هذين الركنين أساس لا تقوم الجملة إلا به، وقد يعدل عن أحد هذه الأصول، وهذا العدول هو ما نقصده بالعوارض والتي منها الحذف، والتقديم والتأخير..."[116]، وبهذا يكون العارض في أبسط تجلياته هو ذلك العنصر الذي يتسلط على الجملة العربية ويمنعها من إرادة المعنى الأول إلى معنى آخر جديد مثلا "يأكلُ زيدٌ كمثرَى" إذا أصابها عارض النفي تصبح "لا يأكلُ زيدٌ كمثرَى" وبهذا نلاحظ تغير المعنى المقصود من الجملة في البداية من حالة الإثبات التي يراها معظم النحاة الأصل في الكلام إلى حالة النفي، وفيما يخص اِعتبار الإثبات هو الأصل في الكلام لم يوافقه الجرجاني (ت471هـ) الذي تميز بنظرته الفاحصة وحسه المرهف في تذوق تراكيب اللغة مؤسسا بذلك علم البيان؛ حيث جعل النفي أيضا أصلا في الإخبار على النحو الذي بينه د. حماسة، هذا ونضيف إلى ما سبق تخصيص المعنى دون تغييره كالتقديم والتأخير مثلا.

وقد أشار د. حماسة إلى دور هذه العوارض في توجيه المعنى وعلاقتها بالبنية الأساسية للجملة في توطئة هذا الفصل مبرزا في الآن ذاته أهم العناصر التي سيتناولها فيه وذلك عن طريق التوطئة لها بتحديد المصطلحات حتى يتبين القارئ المقصود منها ويستكشف المعاني المراد التعبير عنها، حيث بين لنا مصطلح البنية الأساسية والتي تعتبر منطلق البحث النحوي عند القدماء – حسب د. حماسة – وذلك لأنها: "النظام اللغوي التجريدي الثابت لتصور تركيب الجملة في الحالة الأولى من حالاته، التي يعد (بناء الجملة) تنفيذا حيا واقعيا له."[117]، أما فيما يخص العوارض التي تلحق بناء الجملة فقد تحدث عنها

[114]- ابن منظور، لسان العرب، مادة ع ر ض

[115]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 237

[116]- رفاعي طه أحمد، عوارض التركيب في بناء الجملة العربية "دراسة نحوية في ضوء صورة البقرة"، ص: 2

[117]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 237

العديد من النحاة القدامى أبرزهم اِبن جني (ت392هـ) في باب بخصائصه: "شجاعة العربية"، وفي هذا الإطار يبين د. حماسة أن هذه العوارض قد تكون أداة متصدرة للجملة أو أداة اِسمية نظرا لدخولها في علاقة اِستبدالية مع بعض الأسماء، ويزيد على هذا أن العارض قد يتضح خارج تركيب الجملة كالنغمة عند الحديث عن الاِستفهام، أيضا هذا لا يعني أن الجملة تستوعب عارضا واحدا، بل قد يلحقها عارضان كالنفي والاِستفهام...

ومهما يكن من أمر فإن د. حماسة حاول من بعد هذه التوطئة توضيح العوارض التي تلحق بناء الجملة إلى التفصيل فيها وذلك عن طريق ثلاثة مباحث أساسية، المبحث الأول بعنوان: " البنية الأساسية وعوارض بناء الجملة "، أما البحث الثاني فتحت اِسم: " الحذف في بناء الجملة "، في حين المبحث الثالث جاء لمعالجة: " النفي في بناء الجملة "، وسنوضح محتوى هذه المباحث الثلاثة فيما يلي:

المبحث الأول: البنية الأساسية وعوارض بناء الجملة:

يبين د. حماسة في بداية هذا المبحث أن الحديث عن عوارض بناء الجملة يحيل بشكل مباشر إلى نموذج أصلي لهذا البناء وهو ما يصطلح عليه بالبنية الأساسية، ولعل حديثه عن هذه البنية يشير إلى منهجه التفسيري في البحث النحوي، والذي يعد كتاب بناء الجملة العربية نقطة البداية فيه، وفكرة البنية الأساسية هي فكرة تراثية لها جذور عميقة في البحث النحوي العربي و خير دليل على ذلك قوله في مقدمة هذا الكتاب: " وليس القول بالبنية الأساسية دعوة جديدة للتحليل النحوي في العربية، ولكنها محاولة لفهم التفسير الذي قدمه نحويو العربية لنظام اللغة في جهد وإخلاص يدعوان للإعجاب. وصحيح أن المصطلح لم يقع في تعبيرهم، ولكنه يتبدى بصور مختلفة في كثير من اصطلاحهم الذي يوحي به ويومئ إليه. وما قولهم (أصله كذا) أو (قياسه كذا) أو (هو على تقدير كذا) أو (تأويله كذا) إلخ، إلا رجوع إلى ذلك النموذج أو الأصل، أو – إن شئت – البنية الأساسية. "[118]

وإذا كانت البنية الأساسية هي النموذج التجريدي للبناء اللغوي، فإنها قد تختلف عن البناء الواقعي المتحقق عند المتكلمين للغة، أو بعبارة أخرى هناك فرق بين القاعدة والإنجاز، ولهذا وضح د.حماسة الفرق بين البنية الأساسية للغة والبناء الظاهري لها مستعينا بثنائية اللغة والكلام عند اللغوي "دي سوسير"، فالكلام كما حدده د. تمام حسان عمل واللغة حدود هذا العمل، كما يبين في موضع آخر أن اللغة بالنسبة للمتكلم معايير تراعى وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ. ويميز د. محمد محمد يونس علي بين اللغة والكلام قائلا: " يقصد بالكلام هنا ما ينشأ عن الاِستخدام الفعلي للغة، أي ناتج النشاط الذي يقوم به مستخدم اللغة عندما ينطق بأصوات لغوية مفيدة. وبينما تتسم اللغة بالطابع الاِجتماعي بوصفها ظاهرة اِجتماعية كامنة في أذهان أفراد المجتمع، ويحدث الكلام نتيجة نشاط فردي."[119]، وإذا كانت البنية الأساسية هي الشكل التجريدي النظري للجملة والبناء الظاهري هو تحقق هذا الشكل التجريدي عند المتكلم، فإن البنية الأساسية بهذا المفهوم تقابل اللغة، في حين تقابل البنية الظاهرية الكلام، ولهذا فإن البنية الظاهرية قد تطابق البنية الأساسية أحيانا وقد تخالفها أحيانا أخرى، لكن هذه المخالفة لا تخرج عن إطار الممكن المستحب في التصرف اللغوي، وإلا أصبح البناء الظاهري تجسيدا لبنية أساسية أخرى...

---

[118]- نفس المرجع، ص: 12

[119]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص: 52

ويحاول د. حماسة بعد هذه المقارنة تبيان العناصر المحددة للبنية الأساسية والمكونة لها في الآن ذاته، فهذه البنية تتأسس على مجموعة من المقولات التركيبية والصرفية وأيضا المعجمية التي تحدد شخصيتها مع فسح بعض المجال للمتكلم في التصرف فيها دون الخروج عنها وهنا يأتي دور الاِستبدال في اللغة هذا فضلا عن التقدير والتأويل أو اِستصحاب الحال، وعليه تكون البنية الأساسية وحدة ثابتة بينما الأبنية الظاهرية متعددة ومتحركة.

وتذكرنا فكرة البنية الأساسية والبنية العميقة باِفتراض وجود بنية عميقة للغة عند النحاة التوليديين، فالبنية العميقة هي التي تشمل العناصر الكاملة والنظام الأساسي لبناء الجملة والقواعد التي تحكمها "ففي كل لغة يمكن اِفتراض بنية تعبر عن وقوع فعل ما من فاعل ما على مفعول به، ومن الممكن أن يعبر عن هذه الفكرة المنطقية بمناويل لغوية مختلفة"[120]، وهذه المناويل اللغوية هي ما يصطلح عليه بالبنية السطحية؛ حيث إنه "عندما ننظر في كثير من الجمل تبدو لنا مختلفة، لكن إذا نظرنا إلى بناها العميقة نجد أنها متحدة. ولعل الصورة المثلى في كل اللغات أن تتفق بناها العميقة مع بناها السطحية، لكن هذا لا يكاد يحدث في الواقع اللغوي."[121].

ويوضح د. حماسة أن البنية الأساسية هي الأصل وهي قادرة على توليد عدد لامحدود من الجمل الصحيحة، وهذا يتقاطع والنحو التوليدي الذي يعتبر: "طائفة من القواعد التي تطبق على معجم محدود من الوحدات فتولد إما مجموعة محدودة أو غير محدودة من الاِئتلافات؛ بحيث يمكن أن نصف كل اِئتلاف بأنه سليم في صوغه في اللغة التي يصفها النحو."[122]، والبنية الأساسية في نظر د. حماسة ليست إلا "مجموعة من هذه القواعد الفرعية التي تتناول التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث..."[123].

وفي نفس السياق يبرز د. حماسة تنوع البنى الأساسية، لكن الأصل واحد وهو ما اِصطلح عليه بالبنية المحورية للجملة العربية، وبما أن الجملة العربية على ضربين – على النحو الذي بينا سابقا – فإننا نجد بنيتين أساسيتين وهما: بنية الجملة الفعلية (فعل + فاعل) وبنية الجملة الاِسمية (مبتدأ + خبر)، وقد يتولد عن هاتين البنيتين العديد من البنى الأخرى وذلك بالنظر إلى عناصر طول الجملة وغيرها، وهي بنى محدودة على الشكل الذي أشرنا إليه سابقا، كما أنها قادرة على توليد عدد غير محدود من البنى الظاهرية أو الجمل المنطوقة المختلفة، وهذا الاِختلاف يرجعه د. حماسة إلى طبيعة القواعد الفرعية ممثلا لذلك بنماذج عديدة تنتمي إلى البنية الأساسية للجملة الاِسمية مع اِختلاف في البنية الظاهرية نتيجة دخول بعض العوارض كالتقديم والتأخير والحذف... كما مثل لأهمية التفسير النحوي القائم على فكرة البنية الأساسية أو الأصل في فهم المعنى المقصود من الكلام مستعينا بالعديد من الشواهد الشعرية والتفسيرات التي قدمها النحاة لها، كما اِستدل بأثر عن سيبويه (ت180هـ) والخليل (ت170هـ) في تفسير الآية "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسلَ رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء" ؛حيث أرجع الخليل (ت170هـ) نصب "يرسلَ" إلى تقدير "إلا أن" فـ"إلا" لا يعقبها فعل لذلك اِحتيج إلى حرف مصدري لهذا الفعل ليتم تأويله "أن يرسل" = "إرسال".

وتأكيدا لفكرة البنية الأساسية ومحاولة لتأصيلها يبرز د. حماسة بعض الظواهر التي تبين وعي القدماء بهذه الفكرة ويمكن عرضها فيما يلي:

---

[120]- نفس المرجع، ص: 86-87

[121]- نفس المرجع، ص: 88

[122]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص: 84

[123]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 245

ما يتعلق بالإعراب كـ:

1- المحل الإعرابي: نظرا للعلاقة الإِستبدالية تتبوأ بعض المبنيات كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ما عدا المثنى منها محلا إعرابيا، ونفس الحال في الجملة التي لها محل من الإعراب كالخبرية أو الحالية...
2- الإعراب التقديري: قد يتعذر ظهور العلامة الإعرابية على لفظة معنية فيتم اللجوء بذلك إلى التقدير كالأسماء المقصورة والمنقوصة إلى غير ذلك. ..
3- حرف الجر الزائد: كأن يشتغل محل كلمة ما بحركة حرف الجر الزائد وبذلك تكون العلامة مقدرة "كفى باللهِ شهيدا" حيث يعرب بـ"اللهِ": الباء: حرف جر زائد، للتوكيد، مبني على الكسر، لا محل له من الإعراب. / اللهِ : لفظ الجلالة، اِسم مجرور لفظاً، مرفوع محلاً (تقديراً) على أنه: فاعل للفعل كفى. وبهذا يكون التقدير العام " كفى اللهُ شهيداً ".

ما يتعلق بعوارض بناء الجملة كـ:

1- البناء العارض: قد يلحق تابع بعض المبنيات بناء عراضا كتابع المنادى واِسم " لا" النافية للجنس حيث تبقى على حالة واحدة رغم وجود العامل.
2- الحذف الواجب: والقول بوجود حذف واجب يعني وجود عنصر أساسي محذوف وهذا العنصر نستدل على وجوده من خلال البنية الأساسية، وهو عكس الحذف الجائز الذي يمكن أن يذكر العنصر المحذوف بموجبه في بناء ظاهري آخر، وبذلك يكون الحذف الواجب أكثر دلالة وبرهنة على وجود البنية الأساسية في التحليل النحوي العربي.
3- التقديم والتأخير: لا نقول إن عنصرا ما مقدم من تقديم أو مؤخر من تأخير إلا إن كانت رتبته الأصلية غير ذلك، ولهذا فإن تصور البنية الأساسية حاضر وبقوة في هذا الباب.

واِعتماد فكرة البنية الأساسية في التحليل النحوي لا يعني إهمال النحاة القدامى للبنية الظاهرية، بل نجد في التراث النحوي العديد من المحاولات التي اِعتمدت على البناء المنطوق في هذا التحليل وقد مثل د. حماسة لذلك بحكمهم على الجملة الاِسمية المنسوخة بالنواسخ الفعلية " كان وأخواها " إنها جملة فعلية وذلك بالنظر إلى صيغة هذه الأفعال بغض النظر عن أنها ناقصة... وبذلك تظل هذه المحاولات قليلة وشاذة، والشاذ لا يقاس عليه.

المبحث الثاني: الحذف في بناء الجملة:

قلنا إن البنية الأساسية هي الأصل الثابت للجملة، أما البناء الظاهري فهو تجسيد المتكلمين لهذا الأصل، وعليه فإنهم قد يتصرفون في هذا البناء حسب مذهبهم ومقصدهم من الكلام؛ حيث تدخل عليه بعض العوارض لتحول معنى الكلام حسب القصد المراد منه، ومن أبرز هذه العوارض الحذف، وقد حاول د. حماسة الحديث عن هذا العارض نظرا لأنه قد يلحق العناصر المؤسسة لبناء الجملة (ظاهريا)، هذا إن لم نتحدث عن القيمة البلاغية له، وقد تحدث د. حماسة عن أبرزها كـ: الإيجاز بالحذف مصداقا لقول الجرجاني (ت471هـ) "ترك الذكر أفصح من الذكر"[124]، هذا وقد أشار ضمنيا إلى بعض

[124]- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146

الأغراض للحذف عن طريق الحديث عن حذف المفعول به من بينها: تناسب الفواصل القرآنية ويقابلها تناسب القوافي وإستقامة الوزن في الشعر، أيضا اِحتقار وتصغير العنصر المحذوف... وليس هنا موضع للتفصيل في هذا.

والحذف في اللغة من مادة ح ذ ف يقول اِبن منظور (ت711 هـ): " حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر، من ذلك." [125] وبهذا يكون الحذف في اللغة بمعنى الإسقاط والإزالة وهذا لا يختلف عن المعنى الاِصطلاحي له؛ حيث يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فيه: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن."[126]، فهو بذلك يعني حذف أحد العناصر المكونة لبناء الجملة والاِكتفاء بالأخرى لدلالة المعنى عليه وعدم الحاجة إلى ذكره، هذا فضلا عن ضرورة وجود قرائن لفظية تعيننا على تقدير المحذوف، ويقول د. فاضل السامرائي في هذا الباب: "يشترط في الحذف وجود دليل مقالي أو مقامي وألا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير في المعيار النحوي."[127]، وفي نفس السياق، يقدم د.حماسة مجموعة من الشروط الحذف مستندا على تلك التي حددها اِبن هشام (ت761هـ)، ويمكننا تلخيصها في:

- وجود دليل حالي أو مقالي وألا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي؛
- ألا يكون الحذف كالجزء وذلك بعدم حذف الفاعل أو نائبه أو مشبهه؛
- ألا يكون مؤكدا؛
- ألا يؤدي الحذف إلى اِختصار مختصر؛
- ألا يكون عاملا ضعيفا إلا في مواضع قويت فيها الدلالة؛
- ألا يكون عوضا عن شيء كحذف "ما" التي تعوض "كان".

ويحاول د. حماسة أن يبين من خلال هذا المبحث تبيان الحذوف التي تلحق بناء الجملة، فرغم إشارته إلى أن الحذف الواجب هو النوع الوحيد الذي يدل بشكل كبير على فكرة البنية الأساسية إلا أن هذا لم يمنعه من الحديث عن الحذف الجائز وتبيان مواضعه وبعض الشواهد المفسرة له، وعليه يمكننا عرض محتوى هذا المبحث على الشكل التالي:

أ- الحذف الجائز:

وهو إسقاط عنصر إسنادي أو غيره من بناء الجملة شريطة سماح النظام اللغوي بذلك فضلا عن إمكانية ذكره داخل نفس التركيب في سياق آخر، وتعريف د. حماسة هذا النوع من الحذف باِعتباره ما يحذف لوجود قرائن دالة عليه وهو يشبه إلى حد كبير تعريف د. فاضل السامرائي حيث يقول: " والحذف الجائز فيما دل عليه دليل لفظي أو مقامي كما سبق تقريره وذلك نحو (زيد) في جواب: (من حضر؟)."[128].

[125] - ابن منظور، لسان العرب، مادة ح ذ ف

[126]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 146

[127]- فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص: 76

[128]- فاضل السامرائي، الجملة العربية بناؤها وأقسامها، ص: 77

- حذف العناصر الإسنادية:
  - في الجملة الإسمية:

" لا يجوز حذف المبتدأ أو الخبر في الجملة الاِسمية إلا إذا كان معلوما بسبب قرينة لفظية أو معنوية "[129]

المبتدأ: كأن يكون في جواب عن سؤال كقوله تعالى: "قال فرعون ومارب العالمين* قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين" وهنا دليل مقالي.

الخبر: نفس شروط حذف المبتدأ تنطبق على الخبر وقد اِستدل د. حماسة على ذلك بقول اِبن مالك (ت672هـ):

وحذف ما يعلم جائز كما --- تقول: (زيد) بعد (من عندكما)

وفي جواب: كيف زيد بعد (دنف) --- فزيد اِستغنى عنه إذ عرف

- في الجملة الفعلية:

" وفي الجملة الفعلية كذلك قد يحذف الفعل نفسه حذفا جائزا في بعض المواقف التي تستدعي ذلك ويبقى الفاعل وحده "[130].

الفعل: يحذف الفعل جوازا إذا جاء في جواب سؤال حقيقي كأن نقول:" من قام؟" فيجاب عن السؤال بـ: "زيدٌ"، والتقدير: "قامَ زيدٌ"، كما أنه قد يحذف الفعل حذفا جائزا إذا جاء جوابا لسؤال مقدر كقوله تعالى: "يسبَّح له فيها بالغدو الآصال. رجالٌ " وكأنه قيل هنا: "من يسبح؟" فتتم الإجابة عنه بـ: "رجالٌ"، أيضا يحذف إذا وقع جوابا لجملة منفية، والمسوغ للحذف هنا هو الاِستلزام وسبق الذكر.

الفاعل: يمتنع حذف الفاعل ويجيز يحيى بن حمزة العلوي (ت1346م) حذف جوازا إن دلت عليه قرينة مستندا بقوله تعالى: "كلاَّ إذا بلغَت التراقِيَ" والمقصودُ هنا النفس لأن السياق دل عليها وهذا مذهب أهل البلاغة...

- حذف العناصر غير الاِسنادية:

" وأما ما يمكن حذفه من العناصر غير الإسنادية، فلا يحذف إلا حذفا جائزا، ولا يمكن حذف عنصر من العناصر غير الإسنادية إلا المفعول به، وهو كثير في العربية. والحال على قلة "[131].

- حذف الحال: يحذف الحال جوازا إذا كان قولا أغنى عنه المقول كقوله تعالى "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم" أي قائلين ذلك، وهذه قرينة حالية.
- حذف الاِستثناء: ويجوز حذفه إذا جاء بعد "إلا" و"غير" المسبوقتين بـ"ليس"، كقولهم: "قبضت عشرة ليس إلا أو ليس غير".
- حذف التمييز: ويجوز حذفه قصد الإبهام كأن نقول: "سرت أربعاً"، والمقصود "أربعَ ليالي".
- حذف المفعول: يشير د. حماسة إلى أن عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عالج مسألة حذف المفعول في كتابه دلائل الإعجاز، وإن كانت هذه المعالجة معالجة

[129]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 261
[130]- نفس المرجع، ص: 259
[131]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 262

بلاغية، إلا أنها تستند على أساس نحوي، ففي نظره قد يحذف المفعول به في الفعل المتعدي بغرض إثبات المعنى في الشيء على الإطلاق، وهذا النوع يمتنع فيه التقدير للطافة معناه، وهناك نوع من حذف للمفعول المقصود، فمنه الجلي، كقولك أصغيت إليه على تقدير: أذني، ومنه الخفي، كأن يكون هو المفعول الوحيد للفعل الذي ذكر معه كقول الناظم:

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم --- نطقت ولكن الرماح أجرت

وذلك على تقدير أجرتني.

ب- الحذف الواجب:

وهو حذف يوجبه نظام الجملة؛ بحيث يكون ذكره في الجملة خطأ، وهو لا يكون إلا في العناصر الإسنادية للجملة ما عدا الفاعل.

- في الجملة الفعلية:
  - حذف الفعل في التركيب الذي يكون فيه الاِسم المنصوب على التحذير أو الإغراء مفعولا به:" إياك والشرّ/ العملَ العملَ"؛
  - حذف الفعل في التركيب الذي يكون فيه المفعول به اِسما منصوبا على الاِختصاص، وتقديره أخص في " نحن – العربَ – أسخَى من بذلَ ".
  - الاِسم المنصوب (المفعول به) المقدم على فعل مقترن بضمير يعود على هذا الاِسم أو بما يتصل بهذا الضمير "الاِشتغال" مستشهدا بقوله تعالى: "وكلَّ شيء فصلناه تفصيلا".
  - حذفه في المصادر المنصوبة إذا كانت:

1- مصدراً ينوب عن اللفظ بفعله في الأمر والنهي أو الاِستفهام التوبيخي وعند تذكر الشدة أو عند الاِمتثال وعند مخاطبة مرضي عنه أو مغضوب عنه "فضَربَ الرقابِ" فاضربوا الرقاب؛

2- مصدراً مفسرا لعاقبة ما سبقه؛

3- مصدراً مكررا أو محصورا والذي ينوب عن فعل مسند لاِسم عين " أنت سيراً سيراً " تقديره : "سر سيرا "؛

4- مصدراً مؤكدا لنفسه "لك علي ألف عرفا"؛

5- مصدراً مؤكدا لغيره "أنت اِبني حقا"؛

6- مصدراً مسوقا للتشبه " له بكاء بكاء ثكلى".

  - في الاِسم المنادى سواء أكان منصوبا أم مبنيا في محل نصب، وهو منصوب على حذف الفعل: " أدعو زيداً " في : " يا زيد".
  - حذفه في التركيب الذي يضم الحال إذا كانت:

1- مذكورة للتوبيخ " أقاعدا وقد قام الناس " بتقدير أتقعد؟ "؛

2- وردت في تركيب سمع على هيئته "هنيئا له " بتقدير: "ثبت لك الخير هنيئا"؛

2- إذا أكدت مضمون الجملة قبلها " زيد أبوك عطوفا " بتقدير: أحقه عطوفا؛

4- دالة على اِزدياد أو نقصان بتدرج مع اِقترانها بالفاء أو ثم " تصدق بدرهم فصاعدا "؛
5- تسد مسد الخبر "ضربي زيداً مسيئا ".
- حذفه في جملة الصلة المتكونة من شبه جملة (ضرف أو جار ومجرور) كـ: "جاء الذي في الدر" بتقدير: " جاء الذي اِستقر في الدار ".

- في الجملة الاسمية:
  - المبتدأ: يحذف المبتدأ إذا أخبر عنه بـ:

1- نعت مقطوع للرفع؛ " الحمد لله رب العالمين " باِعتبار: " ربُّ " خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو "؛
2- مخصوص نعم أو بئس المؤخر " نعم الرجل خالد " باِعتبار " خالد " خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو"؛
3- إذا كان الخبر نصا في اليمين " في ذمتي لأفعلن " بتقدير: " في ذمتي عهد "؛
4- المصدر المرفوع النائب عن اللفظ وفعله "صبرا جميلا" بتقدير: "صبري صبر جميل".

  - الخبر: يحذف الخبر إذا:

1- وقع المبتدأ بعد لولا الاِمتناعية وكان الخبر كونا عاما كقوله تعالى: "لولا أنتم لكنا مؤمنين"؛
2- إذا كان المبتدأ نصا في اليمين؛
3- إذا عطف على المبتدأ اِسم آخر بواو المصاحبة: "كل صانع وصنعته "؛
4- إذا وقع بعد المبتدأ حال لا يصلح أن يشغل وظيفة الخبرية.

المبحث الثالث: النفي في بناء الجملة:

من بين العوارض التي خصها د. حماسة بالذكر والتفصيل النفي، والنفي لغة من مادة: ن ف ي، يقول اِبن منظور (ت711هـ): " نفَى الشيءُ يَنْفِي نَفْياً: تنَحَّى، ونفَيْتُه أنا نَفْياً "، كما يعني النفي أيضا الرفض، وهو بذلك خلاف الإيجاب والإثبات، أما في الاِصطلاح فيعرفه د. حماسة بأنه: " من العوارض المهمة التي تعرض لبناء الجملة فتفيد عدم ثبوت المسند للمسند إليه في الجملة الفعلية والاِسمية على السواء."[132]، فالأصل في الإخبار عند جميع النحاة الإثبات ما عدى الجرجاني (ت471هـ) ويوافقه د.حماسة في ذلك، أما النفي فهو عارض يحول معنى الإثبات في الجملة إلى السلب والرفض.

ونقول إن الجملة منفية إذا تصدرتها أداة نفي، غير أن د. حماسة يبين أن أداة النفي لا تتسلط على عناصر الجملة بأكملها بل تتسلط على المسند وحده ومن خلاله يتم نفي الجملة وهذا ما يفسر إمكانية توسط الفي للجملة الاِسمية باِعتبار الخبر هو المقصود منه مادام مسندا في الكلام لكن هذا لا يدخل في إطار النفي المقصود كعارض خاصة إن كنا بصدد دراسة عوارض الجملة الكبرى أما إن كانت الدراسة موجهة للجملة الصغرى فالأمر يختلف، أما في الجملة الفعلية فالنفي متصدر لها مطلقا.

[132]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 280

والنفي – حسب د. حماسة – لا يكون إلا بوجود أداة نافية، وبذلك يستثني من النفي الضمني المفهوم من التراكيب كما في "اِمتنع زيد عن الحضور"، ويستثني أيضا الاِستثناء بنوعيه، والنفي المسبوق بأداة اِستفهام نظرا لتحولها إلى نوع من التقرير كما في الآية: "أليس الله بأحكم الحاكمين"، وما سوى هذا يعتبر نفيا، وقد أشار في نفس السياق وتأسيسا على قول اِبن يعيش (ت643هـ) أن أداة النفي بدخولها على الجملة المثبتة لا تحول سوى المعنى من الإيجاب إلى السلب، غير أن د. حماسة يضيف على هذا بعض التغييرات فيما يتعلق ببعض الأدوات التي قد يصاحب دخولها على الجملة تغييرات إعرابية في بعض الوظائف، ولعل هذا راجع بالأساس إلى بعض المعاني التي تحملها هذه الأدوات في ذاتها، ولعل هذا ما يجعل من أدوات النفي من أشهر العوارض في اللغة العربية – حسب د.حماسة – فَيُبَوِّؤُهَا بذلك مرتبة ثانية بعد عوارض النسخ.

ويحاول د. حماسة تبيان أدوات النفي المختلفة مبرزا تأثيرها في الجملة العربية وبعض المعاني المستخدمة لأجلها ويمكن تفصيلها وفق ما يلي:

لا: هي أصل حروف النفي، ويحددها د. حماسة بأن النفي يكون بها عاما، وهي تتسلط على الجملة الفعلية فتنفي عن الفعل المضارع الاِستقبال من غير تأثير إعرابي، وتنفي الفعل الماضي شريطة التكرر عند تعدد الأفعال.

وقد تحذف الجملة الفعلية الواحدة في جواب عن سؤال مكتفين بأداة النفي: "لا"، فضلا عن نفيها لكلام متقدم عنها يكون مقدرا كما في قوله تعالى: "لا أقسم بهذا البلد" كرد على قول: "لا تجتمع عظام الإنسان..."، كما أنها قد تكون حرف عطف فتشرك المعطوفين في اللفظ، وقد تزاد عليها التاء "لات" وهي مختصة بالجمة الاِسمية، وتعمل عمل ليس.

ليس: وهي فعل ماض ناقص، يدخل على الجملة الاِسمية المثبتة وينفيها في الحال كما أكد ذلك اِبن يعيش (ت643هـ)، ويتجلى عملها في رفع المبتدأ فيصبح اِسمها، ونصب الخبر فيصبح خبرها، وليس المقصود ب ليس هنا تلك الخاصة للاِستثناء.

ما: وهي تدخل على الجملة الاِسمية والفعلية، وتشترك مع ليس في نفي الحال وذلك في الجملة الفعلية المضارعة، وتجدر الإشارة إلى أن "ما" قد تعمل أحيانا عمل "ليس" ويصطلح عليها إذا عملت بـ:"ما الحجازية".

لن: وهي مختصة بالجملة الفعلية فتدخل على الفعل المضارع ناصبة إياه، وهي تخلص الفعل للاِستقبال، ويبرز د. حماسة أنها تأكيد لـ لا؛ حيث "لا" تنفي اِستقبال الفعل أما "لن" فتشير إلى تأبيد نفي هذا الاِستقبال ويفصل القول في ذلك والاِختلافات بين النحاة فيه.

إِنْ: تختص بالجملتين الاِسمية والفعلية، وهي شبيهة بـ: "ما"، وذلك نظرا لنفيها الحال، ويشير د.حماسة أن هذه الأداة رغم تشابهها بـ:"ما" فإنها تختلف عنها في إفادة التوكيد ويستدل على ذلك بشواهد قرآنية وردت فيها هذه الأداة لإفادة الحصر، واِستخدامها هنا – في نظره – راجع إلى طبيعة صيغتها التي تفيد التأكيد.

لم ولما: وهما أداتان تختصان بالفعل المضارع فتجزمانه، وبالتالي فإنهما تقلبان زمانه إلى الماضي، وبالرغم من اِتفاقهما في العمل فإن د. حماسة يوضح بعض الاِختلافات بين هاتين الأداتين، كاِقتران لما بأداة شرط عكس لم، وجواز حذف منفي لما، فضلا عن إفادتها لاِستمرار النفي والتي تشترط

لم في إفادته اِرتباطها بقرائن متعددة، كما أن منفي لما يكون قريبا من الحال، وأخيرا منفي لما يتوقع ثبوته.

وبعد تعريف د. حماسة لعارض النفي يحاول دراسة تأثيره على البناء الظاهري للكل من الجملة الاِسمية والجملة الفعلية ما دامتا تكونان الأصل في العربية وما سواهما فرع يعود لهما.

أ- الجملة الاسمية:

قلنا فيما سبق أن الجملة الاِسمية هي تلك الجملة التي تتكون بنيتها الأساسية من مبتدأ وخبر، ويمكن دراسة عارض النفي فيها اِنطلاقا من تأثيره في هذين العنصرين، وبما أنه لكل أداة معنى معين فإن طبيعة عمل هذه الأدوات تختلف حسب اِختلافها، وقد كان د. حماسة واعيا بهذه الفكرة لذلك درس تأثير عارض النفي في الجملة الاِسمية حسب أداة النفي المتسلطة عليها، ويمكن إجمال هذه التأثيرات فيما يلي:

لا: قد تدخل على الجملة الاِسمية لا النافية للجنس، حيث تنفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصا يقول تعالى: "لا عاصم اليوم من أمر الله" وهي تنفي جنس العاصمين، كما أنها قد تنفي قيد التثنية أو الجمع عنه، وعملها المتجلي في نصب المبتدأ ورفع الخبر مرهون بشروط وهي:

1- أن تنفي الجنس كله؛

2- أن يكون اِسمها وخبرها نكرتين؛

3- ألا يفصل بينها وبين اِسمها فاصل، وقد يحذف منها الخبر ليبقى الاِسم مبنيا وتسمى إذ ذاك لا الحجازية " لا بأسَ ".

وهناك نوع آخر من: "لا" يختص بالمفرد فترفع المبتدأ وتنصب الخبر وتسمى الشبيهة بليس، ويستدل د. حماسة في عملها بقول الصبان (ت1206هـ)الذي اِشترط فيها قرائن عدة :

1- أن يكون المعمول مفردا؛

2- أن يكون المعمول نكرة ؛

3- تقديم المبتدأ على الخبر؛

4- ألا يفصلها بالاسم فاصل. وأخيرا قد يقترن بـ "لا" تاء للتأنيث وقد تفيد بموجب ذلك التأنيث أو المبالغة في النفي " ولاتَ حينَ مناص " وتعمل إذا حذف المبتدأ المقدر باسم زمان "الحينُ "، وبقاء الخبر الذي يكون أيضا اِسما للزمان " حينَ ".

ليس: باِعتبارها أداة نفي وفعلا ناسخا في نفس الآن فإنها تعمل في الجملة الاِسمية برفع المبتدأ فيكون اِسمها، ونصب الخبر فيكون خبرها، ويبقى هذا التأثير رغم اِنتفاء معنى النفي بـ "إلا" ما لم تتغير رتبة العناصر الاِسنادية، كما أن ليس قد تقترن بحرف اِستفهام " أ " فيصبح معناه بموجب ذلك معنى تقريريا، وهذا المعنى يعود إلى أداة النفي – حسب د. حماسة – لا إلى الباء الذي يقترن بخبرها في هذا التركيب كما زعمت د. عائشة عبدالرحمن.

ما: لـ"ما " تأثير إعرابي شبيه بـ: "ليس"، ويصطلح عليها بـ: "ما الحجازية"، شريطة اِلتزام العناصر الإسنادية في الجملة لرتبتها الأصلية، وألا يحول بينها وبين اِسمها فاصل، أيضا عدم وجود عارض لمعنى النفي، ويجيز د. حماسة إعمالها وعدم إعمالها لورود ذلك في اللغة العربية، كما أشار إلى أن خبرها قد يقترن بالباء.

إنْ: قد تعمل عمل "ليس" بشكل قليل في اللغة العربية، إلا أن ورودها فيه قليل، والمطرد هو ورودها مقترنة بـ"إلا" مما يحول النفي إلى حصر وتوكيد.

ب - الجملة الفعلية:

الجملة الفعلية هي العنصر الثاني المكون للجملة العربية، وبنيتها الأساسية تتكون من فعل له ثلاثة صيغ زمنية وفاعل، ويدخل النفي على البناء الظاهري للجملة الفعلية ذات الفعل الماضي والمضارع محدثا بذلك بعض التغيير على هذه البنية، ويشير د. حماسة إلى النحاة درسوا النفي في هذه الجملة تبعا لهذا التغيير الذي تحدثه، ومن الأدوات التي خصها د. حماسة بالذكر نجرد:

لا وما: تتميز هاتين الأداتين بعدم إحداثهما لأي تأثير إعرابي على عكس الجملة الاِسمية، يقول تعالى: " ولا يسمعُ الصمُّ الدعاءَ ". كما قد تنتفي "ما "الجملة الماضوية كقلوه تعالى: " فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمين ". وقد تلحق لا الجملة الفعلية الماضية أيضا شريطة تكرارها لتدوم على معنى النفي.

لم ولما: وهي من أدوات النفي المختصة بالفعل المضارع ويتجلى عملها في جزم هذا الفعل ونفي الاِستقبال عنه، قال تعالى: " لم يلدْ ولم يولدْ ".

لن: تختص أيضا بالفعل المضارع، وتعمل فيه النصب كقوله تعالي: " فلن يضرَّ الله شيئا ".

إنْ: وتصيب الجملة الفعلية أيضا، كما أنها تقترن بـ: "إلا" لتحول النفي إلى توكيد وحصر، ولعل ما يميزها عن: " أَنْ" المخففة عن: " أَنَّ " هو إمكانية اِستبدالها بـ: " ما ".

تركيـــــب:

بعد عرضنا لمحتوى الفصل الثالث من كتاب د. محمد حماسة المعنون بـ: " عوارض بناء الجملة" يتضح جليا أن الكاتب - رحمه الله - اِعتمد منهجا تأصيليا في البحث النحوي، حيث اِفترض بنية أساسية للتراكيب العربية توازي الرد إلى الأصل والتقدير... في النحو العربي القديم، وقد حاول بطريقة غير مباشرة القول بأن ما توصل إليه التوليديون من فرضية البنية العميقة والبنية السطحية في اللغة قد توصل إليه النحاة القدامى قبلهم بقرون، ولعل خير دليل على ذلك ما يصطلح عليه بعوارض التركيب، أو بعبارة أخرى عوارض بناء الجملة.

وتبعا لذلك حدد د. حماسة مباحث فصله، حيث عالج في المبحث الأول العلاقة بين البنية الأساسية وعوارض التركيب مبرزا أن العوارض بإعتبارها أساليب تتسلط على الجملة وتغير أو تخصص معناها، فإنها لا تظهر إلا على البناء الظاهري لها؛ أي الإنجاز الكلامي للمتحدثين باللغة، وعليه لابد من العودة إلى البنية الأساسية بإعتبارها الأصل والمرجع للتأكد صحة التركيب ونسبة البنية الظاهرية إلى بنية أساسية معينة عن طريق جملة من القرائن أشرنا إليها سابقا.

أما في المبحث الثاني فقد حاول د. حماسة أجرأة فكرة البنية الأساسية عن طريق الحديث عن عارض الحذف وذلك لإصابته جميع عناصر الجملة الإسنادية منها وغير الإسنادية، وقد حاول تبيان بعض وظائفه وشروطه، وانطلق من تحديدات القدماء وتصنيفاتهم لهم فتحدث عن الحذف الجائز والحذف الواجب، وقد ركز الاهتمام على الحذف الواجب نظرا لظهور فكرة البنية الأساسية فيه بشكل جلي وواضح، وكيف استطاع النحاة العرب تقدير المحذوف مراعاة لهذه البنية التي ينتمي إليها البناء الظاهري، ومخافة التباس البنى بعضها ببعض، ومعتمدين في ذلك مجموعة من التقنيات كالاعتماد على الظاهر للعثور على الغابر، ولهذا اشترطوا في الحذف بنوعيه وجود دليل مقامي، فضلا عن دليل لفظي في الجملة.

ثم تحدث عن عارض آخر في المبحث الثالث والأخير وهو عارض النفي مبينا أن النفي المقصود هنا هو النفي الذي تُستخدم فيه أدوات النحو لا النفي الضمني، وبما أن الأصل في الإخبار هو الإثبات فإن النفي يحول هذا المعنى إلى السلب فضلا عن المعاني التي تضيفها أدوات النحو المتعددة، ولكن ما حاول د. حماسة إبرازه هنا هو عمل هذه الأدوات في الجملة؛ حيث أظهر اختلاف تأثيرها انطلاقا من نوعية الجملة...

وقد تبين لنا مما سلف دور البنية الأساسية كمعطى تجريدي في تيسير عملية وصف الأبنية وتحليلها، وتجاوز الوصف إلى التفسير، ويدل هذا على فطنة وحنكة النحاة العرب القدامى، ودورهم الكبير في ربط الأبنية بالمعنى المقصود منها، وقد حاول د. حماسة في غير منبر الدفاع عن هذه الفكرة ومن خلالها إنصافهم، ففهم المعنى لا يستقيم دون فهم المبنى والعكس صحيح، وهذا ما سنتبيَّنُه في الفصل الرابع والأخير من الكتاب.

الفصل الرابع: بناء الجملة في الشعر القديم

توطئـــة:

يقول د. حماسة في أحد لقاءاته: "الشعر فن أداته اللغة" [133]، ولدراسة هذا الفن لابد من الاِنطلاق من اللغة باِعتبارها النسيج المكون له، والبناء القائم عليه، ولهذا فالدراسة النحوية التركيبية لا ينبغي لها أن تقتصر على المنحى التعليمي الصرف؛ أي تعليم قواعد الإعراب البناء إلى غير ذلك، بل يجب تجاوز هذه الفكرة إلى اِتخاذ الدراسة النحوية التركيبية مدخلا لفهم المعنى والكشف عن الدلالة سواء في النص الشعري أو النثري، وهذا هو المكان الصحيح بل الطبيعي للنحو، وليس أوضح من ذلك قوله د. حماسة في أحد مؤلفاته المعنونة بـ: "النحو والدلالة": "لو قارنا بين كتاب سيبويه في إشاراته الكاشفة وكتاب نحوي آخر بعده بقرون، لوجدنا أن من جاء بعد سيبويه لم يأخذ منه إلا الجانب التقنيني منه دون سواه في أغلب الأحيان، ولوجدنا أن الغاية الواضحة في كتب المتأخرين في مجملها هي الغاية التعليمية التي تعني بالصواب والخطأ... إن تقسيم جوانب البحث اللغوي، واِختصاص كل فريق بجانب يشغل به دون الاِهتمام بغيره أو الإفادة منه مزق النص المدروس."[134].

ويبدو من خلال هذا أن دراسة بناء الجملة العربية عند د. حماسة ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة تمكن الدارسين والنقاد من تذوق الإبداع الأدبي بشكل سليم وتجديد مناهج الدرس الأدبي والتي تغفل العديد من جوانب هذا الفن خاصة الجانب التركيبي في الشعر القديم، حيث أكد في توطئة هذا الفصل ضرورة الكشف عن بناء الجملة في هذا الشعر والكشف عنه.

ولعل الاِهتمام بالشعر لا يعني عدم جدوى هذا الطرح في النثر، بل هو يدل على غنى البناء الجملي في الشعر وتعقده، وهذا راجع بالأساس إلى طبيعته التعبيرية والتصويرية، فطول الجملة يتضح في الشعر العربي القديم أو الحديث أيضا بشكل جلي وواضح، خاصة عندما يتعلق الأمر بالصور الشعرية المركبة، أو بالنسبة للقافية في الشعر القديم؛ حيث يسعى الشاعر إلى اختيار نسق تركيبي لا يخل بالجرس الموسيقي لها، أو الإيقاع الشعري للوزن المختار في القصيدة.

وعليه فإن د. حماسة حاول معالجة هذه المسألة وتبيان نجاعتها في هذا الفصل المعنون بـ: " بناء الجملة في الشعر القديم" وهو فصل تطبيقي باِمتياز، يحاول فيه أجرأة جُماع المبادئ والأسس التي عرضها في الفصول السابقة خاصة المتعلقة بطول الجملة، غير أنه مهد لذلك بمبحث يبين فيه "ضرورة الاِهتمام ببناء الجملة في الشعر القديم"، ثم اِنتقل إلى إبراز إمكانية "تآلف النسج الشعري وبناء الجملة "وكيف يمكن للبناء المحكم أن يكون لينا ومطاوعا لمشاعر وأحاسيس الشعر، وفي الأخير يعرض لنا مبحثا بعنوان: "نماذج طول الجملة في الشعر القديم" يبين فيه طول الجملة في العديد من القصائد المشهورة لبعض الشعراء الجاهليين كأوس بن حجر وطرفة بن العبد...

---

[133] - "DR. TAHİRHAN AYDIN"، من أعلام اللغة العربية: الشاعر واللغوي محمد حماسة عبداللطيف : حياته ومؤلفاته وآراءه في الشعر وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص: 280

[134] - حماسة عبداللطيف،النحو والدلالة، ص: 27

المبحث الأول: ضرورة الاهتمام ببناء الجملة في الشعر القديم:

تعددت محاولات قراءة الشعر القديم ونقده، غير أن معظمها – حسب د. حماسة – يظل قاصرا ومقصرا في حقه، هذا إن لم نتحدث عن الاِتهامات الخطيرة التي قد يوجهها له بعض النقاد إذا لم يتوافق الأثر الشعري الذي يدرسونه مع القوالب الإيديولوجية أو المعيارية التي يضعونها، ويسوق د. حماسة مثالا لهذا التوجه بعض الدراسات التي رأت في الشعر القديم اِنعكاسا لأساطير قديمة، ولتجاوز ذلك لابد من الاِنطلاق من البناء اللغوي لهذا الشعر، لأنه أثبت شيء وصلنا من الماضي السحيق.

وبذلك يحاول د. حماسة في بداية المبحث تبيان دور التركيب الجيد في تقديم معنى مبدع وشاعري، ويستدل في ذلك بقول الجرجاني (ت471هـ) واضع نظرية النظم: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"[135]، فالمزية ليست في اللفظ وحده ولا المعنى وحده بل في نظم هذه الألفاظ بطريقة مخصوصة تؤدي بها معنى معينا، وهذا ما يفسر إشعاع بعض المعاني عند شاعر ما دون الآخر، فالتركيب الجيد يعني المعنى الجيد؛ ويطوع الشاعر بموجب ذلك بناء الجملة لصالحه فيتحول من قوانين صارمة إلى أداة طيعة تتيح له الرفع من قيمة المعنى.

وعليه فكل تركيب وكل وظيفة في البناء الشعري مقصودة وليست موضوعة هكذا بشكل عبثي، ولا أدل على ذلك من قصائد الحوليات؛ حيث كان يلزم الشاعر القديم حولا كاملا لكتابة القصيدة، هذا يبرز عنايتهم بتراكيب القصيدة وجريان الألفاظ على الوزن الشعري إلى غير ذلك، كما أن الشاعر كما بين د.حماسة عن طريق قول "ريتشاردز": " لا يدرك الأسباب التي تدفع في اِختيار لفظة دون سواها، إذ تتخذ الألفاظ مكانها في القصيدة دون سيطرته الواعية"[136]، فالشعر كما قال الأستاذ الكتاني: " فيض وجدان وتألق خيال"[137]، ومن الضروري علينا دراسة بناء الجملة في هذا المعطى الإبداعي الذي يعكس ذكاء وحنكة وقدرة الشاعر التعبيرية، بل من خلالها قدرة اللغة نفسها على ذلك.

ونظرا لوظيفته التعبيرية التصويرية في الشعر، تساهل اللغويون مع الشعراء فيما يسمى بالضرورات الشعرية؛ حيث إن اِستقامة المعنى عندهم في أغلب الأحيان أهم من اِستقامة المبنى، فالشعر غير النثر، ليس كلاما علميا أو إخباريا صرفا، بل كلاما شاعريا يصور أشياء قد لا ننتبه لها فيكون هذا التصوير خلابا مؤثرا في النفوس، وهنا تكمن الشعرية، وقد مثل د. حماسة لذلك بوصف أوس بن حجر للبرق؛ حيث حوله من مجرد أثر جوي إلى برق شعري، هذا يقتضي درسا مكثفا خاصة من ناحية بناء الجملة العربية، وللتدليل على ذلك بشكل تطبيقي حاول دراسة بناء الجملة في مقطوعة شعرية من قصيدة الشاعر زهير بن ابي سلمة التي مطلعها:

إنّ الخليطَ أجدَّ البينَ، فانفرقا --- وَعُلّقَ القلبُ مِنْ أسماءَ ما عَلِقَا

حيث أبرز تحول القصيدة من الجمل القصيرة إلى الجمل الطويلة في ذروتها الشعرية التصويرية، فمن الجملة الاِسمية المنسوخة والمؤكدة في بداية القصيدة وما تلاها من جملة معطوفة عليها مما يبين إشراكها في الإعراب وإشراكها في المعنى أيضا، أما فيما تبقى من القصيدة فجلها جمل فعلية مما يعني

---

[135]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 415 أورده: حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 311

[136]ا- ريتشاردز، العلم والشعر، ص 47/36 أورده، المرجع السابق، ص: 312

[137]- محمد الكتاني، الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث، ص: 247

تقلب حال الشاعر من الثبات إلى الاضطراب والتغير، وتميزت هذه الأفعال بعطف أفعال أخرى عليها بالفاء الدالة على التعقيب كأنه يريد أن يقول إن رحيلك أعقبه كذا وكذا: " فارقتك برهن... فأمسى " فلا تنفك الجملة هنا لتطول عند تصوير المحبوبة:

قامت تبدَّى بذي ضالٍ لتحزنني--- ولا محالة أن يشتاقَ من عشقا
بِجِيدِ مُغْزِلَة أدْماءَ خاذِلَة --- من الظباءِ، تراعِي شادناً، خرِقا

ووجد الشاعر ضالته في التصوير عن طريق طول الجملة كطول التقييد في الحال " تبدي..." أو طول التعدد في النعوت: "أدماء، خاذلة..." فضلا عن طول الاعتراض: "ولامحالة أن يشتاق من عشقا"...

كما يبين د. حماسة أن الجملة قد تطول أيضا عند الصورة الشعرية؛ حيث نكون إذن أمام صورتين متقابلتين كما تتيح ذلك أداة التشبيه كأن:

كَأنّ عَيْنيّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَة --- منَ النّوَاضِحِ تسقي جَنّة سُحُقَا

وخلفها سائقٌ، يحدُو، إذا خشيتْ --- منه العذاب تمد الصلب والعنقا

وقابلٌ، يتغنَّى، كلَّما قدرتْ --- على العراقي يداهُ، قائماً، دفقا

يُحيلُ في جَدْوَلٍ تَحْبُو ضَفادِعُهُ --- حَبْوَ الجَواري تَرَى في مائِهِ نُطُقَا

يخرجنَ، من شرباتٍ، ماؤها طحلٌ --- على الجُذوعِ يَخَفْنَ الغَمّ والغَرَقَا

ويتبين لنا أن الصورة الأولى هي عينا الشاعر واقتصرت على الوظيفة الإفرادية للمبتدأ، بينما الصورة الثانية شكلت خبرا مركبا، حيث اِستطالت الجملة عن طريق نعت المضاف إلى الاِسم المجرور " مقتلة "، وكما أشرنا تعدد النعت وأعقبته الجملة: " تسقي جنة..."، بل قد تُنعت وظائف أخرى داخل النعت الجلمة: " وخلفها سائق يحدو إذا خشيت..."؛ حيث عطف النعت الجملة الإسمية " وخلفها سائق " على النعت الجملة الفعلية الأولى " تسقي جنة "، وداخل هذه الجملة الاِسمية ذاتها نعت آخر جملة فعلية "سائق يحدو "...

وعليه نرى أن الجملة كلما نزعت إلى التصوير طالت؛ فالحال المفردة أو النعت المفرد أو الواحد لا يؤثران نفس تأثير الحال الجملة والنعت الجملة، وخير دليل على ذلك اِستِطالت خبر كأن كل هذا الطول؛ حيث تعددت في الوظائف وتداخلت بشكل محكم، وفي هذا خدمة لدلالة الصورة ودقتها التعبيرية مما يجعل من الشعر مجالا خصبا لدراسة بناء الجملة، كما يجعل بناء الجملة منطلقا أساسيا لدراسة الشعر وقدرة المبدع على تطويع اللغة للتعبير عن مشاعره.

المبحث الثاني: تآلف النسج الشعري وبناء الجملة:

بين د. حماسة في بداية الفصل أن نسيج الشعر متلاحم ومتماسك، حتى أنك لو جذبت خيطا من هذا النسيج اِنساقت نحوك باقي الخيوط لتعالقها وتماسكها، ولعل هذا ما يبرز تداخل المستويات المختلفة في

الشعر وتفاعل بعضها ببعض، ويعبر د. حماسة عن هذا التفاعل بالتآلف، والتآلف في اللغة كما يقول اِبن منظور(ت711هـ): ". .. وأَلَّفْتُ الشيءَ أي وصَلْتُه. وآلَفْتُ فلاناً الشيء إذا أَلزمته إياه أُولِفُه إيلافاً، والمعنى في قوله تعالى لِإِيلافِ قُرَيْشٍ لِتُؤْلَفَ قُريش الرِّحْلَتَيْن فتتصلا ولا تَنْقَطِعا... وأْتَلَفَ الشيءُ: أَلِفَ بعضُه بعضاً، وأَلَّفَه: جمع بعضه إلى بعض، وتَأَلَّفَ: تَنَظَّمَ. "[138]، وبذلك يدل التآلف على الاِجتماع والاِنسجام والتلاحم، أما النسج الشعري فيوضحه د. حماسة عن طريق الحديث عن الإيقاع الموسيقي للشعر فكما قال قدامة بن جعفر في تعريفه للشعر: " أنه قول موزون مقفى يدل على معنى " [139]، ولهذا على الشاعر أن يراعي عند نظمه للشعر شيئين اِثنين، الأول: الإيقاع، والثاني: مؤالفة بناء الجملة لهذا الإيقاع.

ونظرا لاِهتمام العرب الكبير بالشعر فقد كانت قواعده مطاوعة للمبدع في أغلب الأحيان؛ وقد حدد د. حماسة هذه المطاوعة والمرونة في:

1- التنوع على مستوى الأوزان والبحور الشعرية وعلى مستوى العلل؛
2- التوازن بين المقاطع الصوتية المتحركة والساكنة، فضلا عن الزحافات المتعددة؛
3- اِكتفاء القافية بالصوت الأخير للكلمة دون اِشتراط وظيفة موحدة ذات حركة معينة.

ويحاول د. حماسة توضيح ذلك من خلال إبراز الوزن العروضي للشعر والتفعيلات والمقاطع الصوتية المكونة له والتي تتماشى مع طبيعة صيغ كلمات اللغة العربية، فضلا عن وضع العروضيين لما يسمى بالزحافات الخاصة بالحشو والعلل الخاصة بالعروض والضرب، وهذا يدل على إيثارهم لاِستقامة المعنى على اِستقامة المقطع الصوتي لكن في حدود ربما قد تكون جد ضيقة.

واِنطلاقا من هذه الرخص العروضية يمكن للشاعر إيراد بعض الألفاظ المعينة التي قد تكون أكثر وقعا وتأثيرا من تلك الممكن اِستبدالها بها إن لم تكن هناك رخصة عروضية، وبهذا فإن بناء الشعر العروضي والتركيبي يدخل في علاقة تأثير وتأثر.

هذا من ناحية ما يقدمه العروض من تنازلات، أما من ناحية النظام التركيبي فتتجلى مرونته ومن خلاله مرونة بناء الجملة في التقديم والتأخير، فإذا كان الزحاف والعلة عارضين يختصان بالوزن الموسيقي للشعر فإن التقديم والتأخير أيضا عارضان يختصان ببناء الجملة في هذا الشعر، ولعل الإمكانات التي يتيحها هذا البناء أكثر رحابة ومرونة من تلك الخاصة بالنظام العروضي الصارم؛ حيث يعمل – حسب الدكتور حماسة – على إقامة الوزن الشعري من جهة عن طريق تقديم بعض العناصر لتلائم موضعها العروضي الصحيح إلى غير ذلك، كما تساعد على توجيه البيت الشعري نحو القافية من جهة أخرى؛ حيث قد تتأخر بعض الوظائف لتشغل القافية نظرا لحركتها وصوتها المتناسب معها...

ويعتبر د. حماسة أن القافية باعتبارها مكونا صوتيا متكررا في سائر القصيدة هي المجال الخصب لدراسة الإمكانات التي يتيحها بناء الجملة في الشعر خاصة فيما يتعلق بالتقديم والتأخير كما أشرنا سابقا؛ حيث يؤكد أن القوافي المطلقة يخدمها بناء الجملة عن طريق تقديم جملة من الوظائف ذات الحركة المناسبة للقافية، فالمنصوبات أزيد من إحدى عشرة وظيفة، والمرفوعات أزيد من ست وظائف... هذا وقد اِعتنى الشعراء القدامى بالقوافي واِستشهد بقول اِبن جني (ت392هـ) في ذلك: " ألا ترى أن العناية

---

[138]- ابن منظور، لسان العرب، مادة أ ل ف
[139]- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص: 64

في الشعر إنما هي بالقوافي."[140]، وانطلاقا من هذه الفكرة يحاول د. حماسة دراسة هذه الإمكانات في الشعر القديم وسنحاول عرض هذه المحاولات فيما يلي:

1- معلقة الأعشى التي مطلعها: ودع هريرة أن الركب مرتحلُ --- وهل تطيق وداعا أيها الرجلُ، والقافية هنا مطلقة رويها مضموم.

وهنا تكون الوظيفة إما فاعلا فيؤخر بذلك المفعول به وجوبا أو جوازا: " أن سوف يأتيك من أنبائنا شكلُ" أو نائبا عن الفاعل بتقديم ما يتعلق بالفعل " وعلق أخرى غيرها الرجلُ "، ويقال إن الفاعل هنا حذف لتصحيح النظم، غير أن د. حماسة يضيف لذلك معنى آخر... كما قد تكون مبتدأ مؤخرا عن الخبر أو خبره محذوف: " في مرفقيها إذا اِستعرضتها فتلُ "، كذلك الحال بالنسبة لاِسم كان التي لم ترد في القصيدة لكنه مثل لها بنماذج أخرى...

أما بالنسبة للخبر فرتبته التأخير غير أنه قد يؤخر وجوبا: " كأنما البرق في حافاته الشعلُ"، نفس الحال بالنسبة لخبر إن وأخواتها منادى مرفوع " ويلي عليك وويلي منك يا رجلُ " فعل مضارع تظهر عليه العلامة الإعرابية: " لا تراها لسر الجار تختتلُ "، أو تكون فعلا ماض مسندا لواو الجماعة: "وشبت الحرب بالطواف واِحتملُوا " أو أن تكون معطوفة على مرفوع كالمبتدأ أو بدله أو الخبر أو الفاعل، وقد وردت القافية معطوفة إحدى عشرة مرة، أو أن تكون نعتا تابعا لما سبق، ومجمل القافية النعت ثماني عشرة قافية.

والملاحظ اِختلاف هذه الوظائف حسب القصائد غير أن الهيمنة تعود للفاعل ونائبه مما يدل على كثرة الجمل الفعلية بالشعر القديم.

2- قصيدة أوس بن حجر مطلعها: صحا قلبك عن سكره فتأملا --- وكان بذكرى أم عمرو موكلاَ، القافية هنا مطلقة رويها مفتوح.

وشغل القافية كل من: الفعل الماض المبني على الفتح (اِثنان وعشرون بيتا)، الفعل المضارع المنصوب (ثلاثة أبيات)، المفعول به (ستة أبيات)، المفعول المطلق (بيت واحد)، الحال (بيت واحد)، التمييز (بيت واحد)، خبر كان (خمسة أبيات)، التوابع (أحد عشر بيتا)، المعطوف (بيتان اِثنان).

وقد حاول د. حماسة تفسير هذه القوافي ودور بناء الجملة في صياغتها والإمكانات التعبيرية التي وفرها للشاعر كالاِستبدال والعطف والتقديم والتأخير والتعدد والتعاقب، وهكذا يحاول تحليل نفس الإمكانات النحوية ودورها في بناء المعنى الدلالي في قصيدة "زهير بن أبي سلمى" و"بشامة بن عمر النهشلي"، والملاحظ أن كل قصيدة تتميز بتوظيف الامكانات المختلفة التي يوفرها اللغة بشكل مختلف حسب اِختلاف الأعراض والشعراء والمقامات إلى غير ذلك، فضلا عن هيمنة الجمل الفعلية نظرا لفاعليتها وحركيتها في التصوير.

[140]- ابن جني، الخصائص، 84/1، أورده، حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 365

3- معلقة طرفة بن العبد مطلعها: لخولة اطلال ببــرقة ثمهــد --- تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد، قافيتها مجرورة.

شغلها: المضاف إليه (ثمانية عشر بيتا)، الجر والمجرور (أحد عشر بيتا)، الفعل المضارع المجزوم ومعتل اللام (واحد وعشرون بيتا)، فعل أمر (بيتين)، التوابع (خمسة وثلاثون بيتا) أغلبها للمضاف إليه والمجرور، الإسم المعطوف (أربعة أبيات) ‘غلبها للإضافة

ويوضح د. حماسة الإمكانات التي أتاحها بناء الجملة هنا كاِستبدال الخبر في أغلب الأحيان بالجار والمجرور فضلا عن تعدد النعوت وتعاقب الجملة لها (ج فعلية)، كما لعب ضمير المتكلم دورا كبيرا في تحديد القافية حيث ساهمت حركة المناسبة قبله في تكوين جرس القافية.

هذا بخصوص القافية المطلقة، أما بخصوص القافية المقيدة فيبين د. حماسة اِنطلاقا من مجموعة من الشواهد والقصائد الشعرية أن الشعراء فيها يكتفون بالوقوف على السكون دون الاِلتزام بإيراد وظائف مجزومة، ولكن هذا لا يعني عدم وجود وحدة في الصوت، فالوظائف المستخدمة في القافية المقيدة تكاد تكون ذات علامة إعرابية مشتركة، فقصيدة مقيدة لـ"طرفة بن العبد" لو أطلقت قوافيها لأتت كلها مجرورة غير بيتين، مما يعني وجود العلاقات السابقة لكن في خفاء؛ أي أنها غير معرب عنها بالعلامة.

وقد تجاوز د. حماسة ذلك إلى القيام بإحصاء لقوافي قصائد كل من: " زهير بن أبي سلمة وأوس بن حجر والأعشى وطرفة بن العبد وعلقمة الفحل وبشر بن أبي خازم وقيس بن الخطيم والحطيئة "، كلهم شعراء جاهليين ومنهم المخضرمون، وتوصل إلى مجموعة من النتائج من بينها: غلبت القافية المضمومة فالمكسورة ثم المفتوحة لتكون المقيدة هي الأخيرة مع إمكانية تحويلها لقافية مطلقة، وهذه النتيجة تدحض ما ذهب إليه بعض النحاة بالقول إن حركة الفتحة أخف، وإن لم يكن كذلك فإنها تعكس جرأة الشعراء في اِختيار ما هو أصعب لإبراز شاعريتهم في ظل مجتمع يفقه اللغة بالفطرة.

واِنطلاقا من هذه التطبيقات السابقة اِستنتج د. حماسة العديد من الإستنتاجات منها ما يلي:

1- الثراء اللغوي للعربية فيما يخص الوحدات المعجمية التي قد تتبوأ القافية؛
2- تفاعل بناء الجملة فيما بينه لتوفير الوظيفة ومن ثَمّ الصوت اللازم للقافية؛
3- غنى الإمكانات المتاحة بالنسبة للقافية المطلقة بتعددها وعدم اِستغلال القصائد لها بمجملها؛
4- هيمنة الجمل الفعلية في الشعر القديم نظرا لطبيعتها التصويرية؛
5- عدم وجود العديد من القصائد ذات القافية المقيدة؛
6- تساهل النظام العروضي مع النظام النحوي عن طريق ظاهرة الإقواء مما يفسر قراءة العروضيين للشعر قراءة نحوية؛
7- عدم اِلتزام القافية بحركة الوظيفة التي تشغلها واِعتمادها على حركة القافية ومحاولة تأويل النحاة لذلك – سيبويه(ت180هـ) مثلا – وهذا يدل على وجود رخص شعرية تسمى بالضرورات.

المبحث الثالث: نماذج من طول الجملة في الشعر القديم:

تحدث في الفصل الأول عن بناء الجملة العربية والعناصر المكونة له، وقلنا أن الجملة قد تطول عن طريق عن طريق العناصر المؤسسة لهذا البناء أو عن طريق عناصر أخرى إضافية، وتبينا في المبحث الأول منه أن د. حماسة ربط طول الجملة بعنصر التصوير في القصيدة، فكلما نزع الشاعر إلى التصوير كانت الجملة تطول ويزيد تعقد تركيبها، وقد أكد ذلك في بداية هذا الفصل حيث اِهتدى بعد ملاحظة العديد من القصائد القديمة إلى أن الجملة قد تطول في القصيدة العربية لتشكل بذلك صورة كبرى تمتد إلى عدة أبيات، وقد تتعدد هذه الصور في القصائد الطوال، في حين لا يشكل الغرض الأساسي للقصيدة إلا بضعة أبيات نظرا لجمله القصيرة، وبِاعتبار القصيدة كلا واحدا، فلابد من جرد العلاقة بين المواضيع المتعددة في القصائد القديمة والغرض الأساسي، ولعل بناء الجملة في القصيدة هو مدخل هذه الدراسة حسب د. حماسة ويستدعي من النقاد الاِهتمام به، وبذلك فهو يحاول تأكيد فكرته المتعلقة بإمكانية جعل النحو مدخلا لدراسة النصوص سواء الشعرية أو النثرية؛ كما سعى إلى تقديم عدد من التطبيقات في هذا المجال من بينها التطبيقات التي قام بها في هذا المبحث؛ حيث درس طول الجملة في مجموعة من القصائد لشعراء جاهليين ويمكن عرض هذه التطبيقات وكالتالي:

1- قصيدة "أبو ذؤيب الهذلي" مطلعها: أمن المنون وريبها تتوجع --- والدهر ليس بمعتب من يجزعُ

يكشف د. حماسة أن القصيدة تضم ثلاثة جمل تضم الصورة الكبرى التي تعبر عنها القصيدة، والمميز في هذه الجمل أنها تطول عبر العناصر المؤسسة لها؛ فهي جملة اِسمية خبرها جملة فعلية، وتطول هذه الجملة في حد ذاتها ليتشابك التركيب فينعت فاعلها بعدد من النعوت منها المفرد ومنها الجملة.

والدهر لا يبقي على حدثانه --- جون السراة له جدائد اربعُ

والدهر لا يبقي على حدثانه --- شبم أفزته الكلاب مروعُ

والدهر لا يبقي على حدثانه --- مستشعر حلق الحديد مقنعُ

فكل من " جون السرات/ الحمار الوحشي " و" الشبم/ الثور " " ومستشعر حلق الحديد/ الفارس " نعت وذكرت هيأته عن طريق الحال اما مفردا واما جملة.

ويربط د. حماسة طول الجملة هنا بالدلالة حيث " شكلت الجمل على هذا النحو بناء القصيدة الذي يعتمد على جدلية مزدوجة: الدهر وريبه الذي لا يجدي معه توجع... والإنسان المقهور الذي يدرك سر الحياة فيعمل بلا هوادة ليلاقي الموت "، ولهذا فالصور هنا صور مأساوية لها نفس البداية والنهاية.

وقد يزيد طول الجملة في هذه الصور إما عن طريق العطف، كعطف جملة عل جملة، وقد تطول الجمل المعطوفة نفسها وهكذا.

وعليه تطول الصورة في القصيدة لتشكل ما حجمه تسعة وأربعون بيتا من مجمل ثلاثة وستين بيتا.

2- قصيدة زهير بن أبي سلمى مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول --- متيم إثرها لم يفد مكبول.

تتميز هذه القصيدة بوجود جملة طويلة واحدة اِختصت بوصف الناقة، وقد اِمتدت إلى عشرين بيتا من أصل واحد وخمسين، والجملة بدايتها هي:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها --- إلا العتاق النجيبات المراسيل

وطالت الجملة هنا عن طريق نعت الاِسم المجرور المتعلق بالخبر المحذوف لأمسى، وطال النعت بدوره عن طريق طول التعاقب والعطف.

وقد ميز د. حماسة الأبيات التي تصف الناقه عن تلك التي تختص بسعاد عن طريقة بنية الضمائر مما يدل على اِنتهاء الجملة السابقة والدخول في جملة أخرى تطول بدورها حسب الوسائل التي توفرها اللغة في هذا الصدد.

3- قصيدة أوس بن حجر مطلعها: صحا قلبه عن سكره فتأملا --- وكان بذكرى أم عمر موكلا.

في القصيدة جملة واحدة اِمتدت الإطالة فيها للتصوير، وقد شملت هذه الجملة ستة وثلاثين بيتا من أصل اِثنين وخمسين، ومطلع الجملة:

وإني أمرؤ أعددت للحرب بعدما --- رأيت لها نابا من الشعر أعصلا

واِستطالت الجملة هنا عن طريق عنصرها المؤسس وهو خبر إن، حيث جاء جملة فعلية اِستطالت بدورها عن طريق تقييد الجار والمجرور والمفعول فيه والمفعول به " أصم / رمح " الذي نعت وطالت الجملة بموجبه طول تعدد وطول تعاقب، كما عطف على المفعول به " أملس صوليا / الدرع " الذي يوصف بدوره عن طريق تعدد النعوت، ثم عطف اِسم ثالث " أبيض هنديا / سيف" وينعت هو الآخر، إلى أن شمل العطف اِسمين بعده وصفا واِستطال وصفهما عن طريق طول التعاقب والتعدد.

ويربط د. حماسة طول الجملة هنا بدلالة الصورة؛ حيث يرى أن الشاعر أراد من خلال ذلك تبيان ضخامة وكثرة ما أعد للحرب، غير أن هذه الكثرة لا تغني عن الموت الذي اِقتضى ذكره بيتا واحدا، مما يضعنا أما متقابلين حب الحياة وما يعد لها الإنسان من عتاد، والموت الذي يحطم كل شيء في لحظة واحدة.

4- قصيدة طرفة بن العبد مطلعها: لخولة أطلال ببرقة ثمهد --- تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

تمتد الجملة الطويلة التصويرية في هذه القصيدة لتصل إلى ثمانية وعشرين بيتا من أصل مائة وثلاثة، وجاءت في وصف الناقة ومطلعها:

وإني لأمضي الهم عند اِحتضاره --- بعوجاء مرقال، تروح وتغتدي

والملاحظ هنا أيضا أن الشاعر آثر إطالة الجملة عن طريق نعت الاِسم المجرور المتعلق بالفعل المكون للجملة التي تشغل وظيفة خبر إن، وتطول الجملة بموجب ذلك عن طريق تعدد هذه النعوت في ما يسمى بطول التعدد، فضلا عن إحلال الجملة محل المفرد فما يصطلح عليه بطول التعاقب، وقد تطول الجملة المعاقبة نفسها وهكذا...

كما لاحظ د. حماسة أن الشاعر اِستعان بالضمير والبدل لاِنتقال إلى جملة اخرى.

ولعل المسوغ لكل هذا هو اِرتباط الشاعر بناقته فهي المعين في السفر والرفيق فيه، وغالبا ما تغنى بها الشعراء القدامى، فوصفها المفصل ونعتها يدل على شدة اِرتباطه وتعلقه بها.

تركيـــب:

واِنطلاقا مما سبق يتضح لنا أن د. حماسة يحاول تأسيس منهج جديد في الدراسات الأدبية وذلك عن طريق المناداة بضرورة تعاون باحثي اللغة العربية فيما بينهم كالنقاد ودارسي اللغة للاِهتمام بمكون لطالما أهمل في دراسة النص الأدبي وهو المكون التركيبي بل وجعله منطلقا ومدخلا لهذه الدراسة مبرزا مسوغاته في المبحث الأول من الفصل.

إن النحو ليس مجرد قواعد جافة وضعت لمعرفة الصواب من الخاطئ في الكلام؛ فالعارف الجيد باللغة والمطلع على تراثها النحوي يتبن أن هذا العلم الجليل اِرتبط منذ ظهوره واِكتماله على يد سيبويه (ت180هـ) بالمعنى، وخير دليل على ذلك اِهتمامهم بالجملة باِعتبارها كلاما مفيدا لقصد معين، غير أن اِنحراف النحاة عن دراسة النحو باِعتباره سبيلا لأداء المعنى المفيد واِكتفائهم بنظم المتون وتقديم الشروح عليها تسبب في جمود النحو إلى حين قدوم عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) الذي اِعتبره مدخلا في دراسة المعاني البلاغية للكلم.

وعلى شاكلة الجرجاني (ت471هـ) يحاول د. حماسة النهوض بالنحو العربي من الجمود الذي أصابه في العصر الوسيط واِمتد لعصر النهضة، واِعتباره مدخلا ومنطلقا أساسيا في دراسة النصوص الشعرية نظرا لما توفره هذه الأخيرة من إمكانات هائلة تحفز الدارسين لدراسة التفاعل الحاصل بين قواعد الشعر والدلالة وبناء الجملة، وكيف يمكن لهذا البناء المحكم أن يكون لينا وطيعا في يد الشاعر المبدع للتعبير عن مشاعره وإبلاغ مقاصده خاصة في الشعر القديم، وهذا ما تبيناه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

بيد أنه لابد من دليل على هذا الطرح، لذا قام د. حماسة بتطبيق ظاهرة طول الجملة على بعض القصائد الجاهلية مبرزا كيف يمكن للجملة الواحدة أن تمتد وأن يتشابك تركيبها حتى توفر للشاعر المعاني اللازمة للتعبير عن صورة مركبة في ذهنه، وكل هذا ينقل الوظائف النحوية من مجرد علامات إعرابية إلى معاني معينة تسهم في تشكيل صورة مركبة في القصيدة ومن ثَمّ إغناء دلالة القصيدة وشاعريتها.

وعلى هذا الأساس فإن كل ما رأيناه في الفصول الماضية عبارة عن أدوات إجرائية ومفاتيح تمكننا – حسب د. حماسة – من دراسة النصوص الأدبية على اِختلافها واِستكشاف دلالتها من جهة، والكشف عن حنكة الشاعر وقدرته التعبيرية عن طريق تطويعه البناء اللغوي لتحقيق هذا القصد من جهة أخرى.

تركيـــــب عـــــام:

إذا كان المصطلح هو الذي يسمي المفهوم ويثبته في اللغة، ويعطيه بعدا تداوليا في عالم التواصل، فإن هذا لا يعني وقوع الناس على مصطلح موحد لمفهوم معين منذ البداية، فالمصطلح بطبيعته يمر بمراحل تطورية تنتهي بِاستقراره على دال واحد موحد يرفع اللبس ويضمن نجاعة الدراسات العلمية وغير ذلك...

ولعل أبرز ملاحظة أبداها المشتغلون بالتراث العربي خاصة اللغوي منه هو إشكالية الاِصطلاح لدى العلماء القدامى، ولا أدل من ذلك مصنفاتهم المبوبة بعناوين طويلة تعكس حاجتهم للفظ يعبر عن ذلك مثلا في كتاب سر صناعة الإعراب لاِبن جني (ت329هـ) نجد بابا معنونا بـ: " باب أسماء الحروف وأجناسها ومخارجها ومدارجها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة وذكر خلاف العلماء فيها مستقصى مشروحا "[141]، وهو ما كان ستقوم مكانه عبارة " باب في الصوتيات " لولا اِنعدام الاِصطلاح آنذاك.

وقد كان د. حماسة ملما بهذه الاِشكالية لذلك حاول الاِنطلاق منها لتحديد موضوع كتابه، فالجملة باِعتبارها مصطلحا محوريا في الكتاب بصفة خاصة والدراسة النحوية بصفة عامة فقد مرت بعدة مراحل مثلها العديد من النحاة من سيبويه (ت180هـ) إلى اِبن هشام (ت761هـ)، وقد عرض د. حماسة لهذا التطور مبرزا أن الجملة هي العنصر المفيد داخل النظام اللغوي سواء التصوري أو المنجز.

يعكس هذا منهج د. حماسة القائم على التدرج؛ حيث اِنطق كما أشرنا من العام إلى الخاص؛ فمن المصطلح وتطوره إلى العناصر الإسنادية ودورها في تصنيف الجملة، حيث اِستنتجنا أن تموقع هذه العناصر هو الذي يحكم نوعية الجملة، والجملة باِعتبارها عنصرا مفيدا فإن هذه الفائدة قد لا تتحقق بالعناصر المؤسسة فقط، بل تصبح بذلك الفضلات عناصر أساسية كما هو الشأن في العديد من الآيات الكريمة.

كما رأينا أيضا دور ظاهرة طول الجملة في إبراز مرونة بناء الجملة في اللغة العربية وكيف يمكن التحكم في طول العناصر الإسنادية من جهة وغير الإسنادية من جهة ثانية، وتبينا أن مظاهر الطول بتعددها تضفي على الجملة غنى دلاليا وتعبيريا وحجاجيا أيضا.

والجملة بطول عناصرها تقتضي روابطا تضفي عليها طابع الاِنسجام والإحكام، ولهذا فقد رأينا كيف تترابط الجملة سواء معنويا أو لفظيا، وأن الرابط المعنوي أقوى من الرابط اللفظي غير أن وجودهما معا يؤكد هذه العلاقة ومن ثم تتحقق متانة تركيب الجملة، بل قد يتجاوز الترابط هنا عناصر الجملة إلى ربط جملة بجملة حتى لا يُتوهم اِستقلالها عن الأخرى خاصة فيما يصطلح عليه بالترتب فاِتضح لنا هنا أن الرابط المعنوي غير كاف وحده لأمن لبس الاِنفصال، لذلك جيء بحروف العطف والضمائر، وبما أن كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى فإن لكل رابط معنى يضيفه على الجملة...

بيد أن المعنى لا تضفيه الروابط وحدها، بل قد يأتي نتيجة عارض من عوارض بناء الجملة، وبتفصيل د. حماسة لهذه العوارض كالحذف والنفي، أبرز دور فكرة البنية الأساسية في تفسير التراكيب وردها إلى الأصل التركيبي الذي تنتمي إليه.

---

[141]- ابن جني، سر صناعة الاعراب، تحقيق د حسن هنداوي، ص: 41

كل هذا جاء في سياق إعداد الدكتور حماسة لرؤية جديدة في تحليل النص الأدبي عن طريق جعل المعطى النحوي التركيبي مدخلا لدراسة هذا النص، وقد بين لنا نجاعة هذا الطرح عن طريق تطبيقه على مجموعة من القصائد الجاهلية؛ فكان ذلك ربطا للنحو بالمعنى وإنصافا له بعد جمود دام عقودا طويلة نتيجة اِهتمام اللغويين بالجانب الإعرابي التعليمي له فقط.

ويعكس هذا نظرة د. حماسة للجهود اللغوية الحديثة نظرة تأصيلية وذلك واضح في غير موضع من الكتاب، فكأنه يريد إبراز أن ما توصلت إليه المدرسة التوليدية التحويلية في اللسانيات الحديثة على يد "تشومسكي" كان النحاة العرب ملمين ببعض عناصره منذ سيبويه (ت180هـ)، وخير دليل على ذلك فكرتي البنية الأساسية والبناء الظاهري التي تقابلهما فكرتي البنية العميقة والبنية السطحية.

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية

الفصل الأول: المنهج المعتمد في الكتاب.

الفصل الثاني: الأبعاد التجريبية للكتاب.

المبحث الأول: تطبق على نص شعري إحيائي؛

المبحث الثاني: تطبيق على نص شعري حر(تكسير البنية).

الفصل الأول: المنهج المعتـــمد في الكتاب:

قبل الشروع في تحديد منهج الكتاب لابد من تحديد مصطلح المنهج أولا، ففي اللغة قال اِبن منظور(ت711هـ) : "طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وهو النَّهْجُ؛ قال أَبو كبير: فأَجَزْتُه بأَفَلَّ تَحْسَبُ أَثْرَهُ نَهْجاً، أَبانَ بذي فَرِيغٍ مَخْرَفِ والجمعُ نَهجاتٌ ونُهُجٌ ونُهوجٌ؛ قال أَبو ذؤَيب: به رُجُماتٌ بينهنَّ مَخارِمٌ نُهوجٌ، كلَبَّاتِ الهَجائِنِ، فِيحُ وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ، ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه، والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ، وفي التنزيل: لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً. " ، والمنهج في اللغة إذاً عبارة عن الطريق والسبيل الواضح المؤدي إلى مكان أو نتيجة معينة، وهذا المعنى لا يختلف عن المدلول الاِصطلاحي للكلمة؛ حيث يعرف د. صلاح فضل المنهج قائلا: " أما تعريفه اِصطلاحا فقد اِرتبط بأحد التيارين: الأول: اِرتباطه بالمنطق وهذا الاِرتباط جعله يدل على الوسائل والإجراءات العقلية طبقا للحدود المنطقية التي تؤدي إلى نتائج معينة... فالمنهج في هذه المرحلة يطلق عليه المنهج العقلي... الثاني: اِرتباطه في عصر النهضة بحركة التيار العلمي." ، وعلى العموم فإن المنهج في الاِصطلاح يعني الطريق والمسلك العقلي المعتمد للوصول إلى مجموعة من النتائج والبرهنة على صحة فرضية ما.

وبما أن التفكير العلمي يتسم بنوع من التنظيم والمنهجية، وهو الذي يقصده د. فؤاد زكريا بـ: "التفكير المنظم، الذي من الممكن أن نستخدمه في شؤون حياتنا اليومية، أو في النشاط الذي نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة... وكل ما يشترط في هذا التفكير هو أن يكون منظما، وأن ينبني على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشر بها شعورا واعيا."[142]، فإن هذ التنظيم لابد أن يُترجم على الكتابة التي تعد صوتا ناطقا واِنعكاسا واضحا له، وبالتالي فأي كتاب كيفما كان نوعه يعبر عن طبيعة تفكير صاحبه، ويكسبه صفة العلمية والتنظيم لقيمة ما يورد من أفكار وآراء من جهة، ولطريقة ترتيبها وعرضها من جهة ثانية، لذلك يعتبر المنهج وسيلة لعرض هذه الأفكار وتصنيفها ومحاولة لتحليلها وتفسيرها، وعليه فمن البديهي أن نحدد المنهج المعتمد في كتاب " بناء الجملة العربية " لما له من دور في الكشف عن طبيعة التفكير العلمي لدى د. حماسة.

وتتميز الوسائل والتقنيات التي اِعتمدها د. حماسة في عرض ومعالجة أفكاره بالكتاب بالتعدد والتنوع.

وعليه يمكننا الكشف عنها اِنطلاقا من أربعة مستويات أساسية وهي:

أ- مستوى اللغة:

يتميز كتاب د. حماسة " بناء الجملة العربية " بلغته الواصفة الدقيقة، فأبرز ما يمكن أن ننعتها به هي أنها لغة سهلة ممتنعة في الآن ذاته؛ سهلة لتوظيف ألفاظ واضحة وجمل إخبارية مرتبة ناتجة عن طبيعة وصف تراكيب الجملة العربية؛ يقول في أحد مواضع كتابه: "تقييد التبعية أنواع، بعضها يخص الاِسم وحده وهو تبعية النعت، وبعضها الآخر، وهو تبعية البدل وتبعية العطف، لا تخص الاِسم وحده بل تكون في الاِسم وغير الاِسم."[143]، ويتضح لنا من هذه العبارة كيف تدرج د. حماسة في تعريف تقييد التبعية مستعينا بلغة واضحة، وذلك لما يقتضيه أسلوب التعريف من تحديد ووضوح.

---

[142]- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص: 5

[143]- حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 65

أما الممتنع فيتجلى في تعدد المصطلحات النحوية؛ "البنية الأساسية" كمصطلح رئيسي، وغيرها من المصطلحات الفرعية كـ"البناء" و"الإستبدال" و"التعقيد التركيبي"... حيث يقتضي فهمها إلماما وإحاطة بالمعرفة اللغوية اللسانية الحديثة، هذا ونلاحظ أيضا حضورا كبيرا للغة القدماء؛ حيث يتحدث د.حماسة في معظم الأحيان بلسانهم كالرضى (ت 686 هـ) وسيبويه (ت 180 هـ) وابن هشام (ت218هـ) وخير دليل على ذلك العبارة التالية: "... وأسماء الزمان كلها صالحة للظرفية، المبهم منها والمختص، (والمبهم كقولك: صمت يوما، وانتظرته شهرا، وسكنت الدار سنة. والمختص، كقولك صمت يوم الجمعة، وانتظرته شهر رمضان، وسكنت الدار السنة السالفة)"[144]، ونلاحظ هنا تداخل كلام د.حماسة مع كلام ابن مالك (ت672 هـ) دون إعلام المتكلم بذلك، ويكتفي هنا بالأقواس والإحالة كإستراتيجية للإشارة إلى صاحب الكلام، ما قد يصيب المتلقي ببعض التشويش، لكن مهما يكن من أمر فإنه أحيانا يشير إلى صاحب الكلام قبل الخوض في سرده كقوله: "... وهو يقوم أساسا على فكرة أن الخبر هو المبتدأ في المعنى أو منزل منزلته. يقول سيبويه: (واعلم أن المبتدأ لا بد أن يكون البني عليه شيئا هو هو) الكتاب 147/2، ويشرح ابن يعيش كون الخبر هو المبتدأ في المعنى أو بمنزلته قائلا: (فالأول نحو قولك: زيد منطلق...)شرح المفصل 87/1 "[145].

ونلاحظ هنا أن د. حماسة غالبا ما يذكر أسماء النحاة القدامى وأصحاب الأقوال المقتبسة في المتن عندما يحتج بهم لتأكيد مسألة ما كما رأينا في القولة السابقة؛ حيث أكد من خلالهم على أن الخبر هو عين المبتدأ أو في منزلته... كما قد يستعين بهم في تبيان بعض الإختلافات لدى النحاة القدامى: " ويقول سيبويه.... ويقول أيضا في التدليل على ترابط أجزاء التركيب... وينقل سيبويه عن الخليل رأيه في ترابط هذا الأسلوب... واختلاف النحاة في تفسير جزم المضارع..."[146]، ولا يهمنا هنا إيراد أقوال القدماء في حد ذاته لأننا سنوضح دوافع د. حماسة من ذلك لاحقا، لكن ما يهمنا هو إبراز تداخل لغة د.حماسة الواصفة أحيانا والمفسرة أحيانا أخرى والتي تتميز بنوع من البساطة نظرا لإنتمائها لمعجم الفصحى المعاصرة مع لغة القدماء المعقدة التركيب.

ولعل المتانة المتجلية في بعض مواضع الكتاب ترجع بالأساس إلى لغة القدماء الزجلة والمعقدة من جهة، وإلى الشواهد الشعرية والقرآنية التي يوردها د. حماسة والتي تحتاج من المتلقي تركيزا وتبصرا دقيقا في معانيها من جهة ثانية، بيد أن لهذا ما يسوغه في طبيعة البحث النحوي الذي يقوم بالأساس على الأثر اللغوي البليغ الذي يعبر عن اللغة السليمة الصحيحة والتي يعتبر القرآن الكريم والشعر القديم مستقرا لها.

ب- مستوى البحث النحوي:

سبق وأن أشرنا في موقع الكتاب من مؤلفات الكاتب أن د. حماسة إعتمد في كتابه هذا منهجا مغايرا لذاك الذي نشأ عليه في ظل التجديد النحوي؛ حيث ترعرع في كنف المنهج الوصفي الذي إتسم بنقده للتراث النحوي العربي وخير دليل على ذلك كتابه: " لغة الشعر، دارسةٌ في الضرورة الشعرية "، ومعلوم أن المنهج الوصفي هو منهج يقوم على الوصف الآني للغة وصفا دقيقا موضوعيا في مختلف المستويات، وقد أدى به هذا الوصف في كثير من الأحيان إلى مخالفة النحاة القدامى خاصة في ما أسموه أحيانا ضرورة شعرية مستدلا بما يفنده من شواهد قرآنية ونثرية...

[144]- ن.م، ص: 150-151

[145]- ن.م، ص: 108-109

[146]- ن.م، ص: 221-222

غير أن النزعة الوصفية لا تنفك تتراجع أمام ميله إلى منهج جديد وهو منهج يقوم على إنصاف القدماء ومحاولة ربط جهودهم النحوية بالدراسات اللسانية الحديثة يقول في كتابه: " بناء الجملة العربية": "غير أن الوصفيين من علماء اللغة العرب المحدثين لم يهتموا إلا بـ(الكلام)... وقد كانوا متأثرين بذلك بآراء بعض العلماء الغربيين... ولذلك وجهوا – في فترة قريبة سالفة – كثيرا من النقد للنحو العربي ونحاة العربية القدماء... ولعل موجة (الوصفية) آخذة الآن في الاِنحسار اِستجابة لنزوع العقل البشري للتفسير وعدم الاِكتفاء بوصف الظاهرة وصفا مجردا." [147]، وهو بذلك يقصد بالتفسير منهجا تأصيليا يؤسس لرؤية جديدة تقوم على فكرة أنه: "ليس الجديد الحق مبتوت الصلة بالقديم منكرا له منسلخا عنه، ولكنه إضافة لبعض جوانبه، واِستكشاف لغوامضه... والجديد الذي لا يعتمد على القديم، ولا يستمد اِستمراره من أصوله ضرب من القفز العشوائي في الظلام، قد لا يفيد شيئا إن لم يكن تدميرا لكل شيء."[148].

والتفسير في الكتاب يتجلى في الاِنطلاق من المبنى إلى المعنى، وعدم الاِكتفاء بوصف الظاهرة وصفا مجردا ظاهريا، وهذا يذكرنا بنظرية النظم الجرجانية، فالمزية ليست في اللفظ وحده أو في المعنى وحده، بل فيهما معاً، ومن دلائل ذلك في الكتاب قوله: "وإلصاق الفعل بالمفعول أو وقوعه لأجله أو فيه أو معه؛ أي بمصاحبته هو معنى تحديد الجهة المرادة للفعل."[149] يقول في موضع آخر: " والجملة الاِعتراضية من حيث التحليل النحوي لا محل من الإعراب... ولكنها من جانب آخر لا تنفك عن الجملة الأصلية ولا تزول عنها من حيث معناها، لأنها تعترض بين عنصرين متضامين متلازمين."[150]...

أما من ناحية إنصاف النحاة القدامى فيتجلى ذلك بشكل واضح في إعتباره فكرة البنية الأساسية؛ حيث يقول: "وليس القول بالبنية الأساسية دعوة جديد للتحليل النحوي في العربية، ولكنها محاولة لفهم التفسير الذي قدمه نحويو العربية لنظام اللغة في جهد وإخلاص يدعوان للإعجاب... وصحيح أن هذا المصطلح لم يقع في تعبيرهم، ولكنه يتبدى بصور مختلفة في كثير من اِصطلاحاتهم الذي يوحي به ويومئ إليه، وما قولهم (أصله كذا) أو(قياسه كذا) أو(هو عل تقدير كذا) أو(تأويله كذا) إلخ، إلا رجوع إلى ذلك النموذج أو الأصل، أو – إن شئت – البنية الأساسية."[151].

فإذا كانت البنية الأساسية تحيل إلى فكرة البنية العميقة في النحو التوليدي، فإن د. حماسة يوازن وبشكل غير مباشر بين اللسانيات الحديثة (المدرسة التوليدية) والنحو العربي القديم، وهي بذلك محاولة تأصيلية بامتياز ويتضح ذلك في غير موضع واحد من كتابه : " وإنما اِفترق البدل عن البيان في هذا لأن البنية الأساسية في البدل جملتان، والبنية الأساسية في عطف البيان جملة واحدة."[152] ويقول أيضا: "...وقولهم (أي النحاة العرب القدامى) غلام زيد بمعنى غلام لزيد؛ أي من حيث ملاحظتهم معنى اللام في كل فقط، فمرادهم به مجرد تفسير جهة الإضافة في المثال المذكور من الملك والاِختصاص، وهكذا القول في كل بنية أساسية، إنها لمجرد تفسير التراكيب فحسب، وهذه هي مهمة النحاة الأساسية: تفسير الأبنية."[153].

---

[147]- ن.م، ص: 13
[148]- ن.م، ص: 7
[149] ن م، ص: 61
[150]- ن م، ص: 82
[151]- ن م، ص: 12
[152]- ن م، ص: 191
[153]- ن م، ص: 204

وعليه يتضح لنا أن د. حماسة في كتابه: "بناء الجملة العربية" يتبنى منهجا تجديديا يقوم على التفسير، وهذا التفسير في حد ذاته إنصاف للنحاة العرب القدامى، وتأصيل للجهود النحوية المعاصرة، كما أنه رَبْط للنحو بالمعنى بعد قطيعة تسبب فيها الاِهتمام بالإعراب وحده وتغير العلامات والوصف الظاهري للبناء اللغوي.

ج- مستوى العرض:

تميز عرض د. حماسة لمحتوى الكتاب بنوع من الترتيب المنطقي والتنظيم المحكم؛ حيث اِعتمد منهجية اِستنباطية تقوم على الاِنتقال من العام إلى الخاص؛ إذ بعد المقدمة التي أبرز فيها أهمية الدراسة وأبعادها وطموحاتها، يقوم بالتوطئة لكل فصل حتى يهيئ المتلقي معرفيا ووجدانيا لما سيأتي في مباحثه، وكما أشرنا سابقا في الفصل الأول، حاول الكاتب أن يحدد المصطلح الأساسي: " الجملة " والذي يعتبر مدار الدرس النحوي بصفة عامة، وهذه الدراسة بصفة خاصة؛ حيث فصّل في تطو مدلول هذا المصطلح من لغوي إلى آخر، وبل وتخصيص هذا المدلول في حد ذاته...

ثم اِنتقل بعد ذلك للتفصيل في بناء هذه الجملة عن طريق ذكر مكوناته، ومتحدثا عن العناصر الأساسية أولا ثم اِنتقل إلى العناصر الزائدة أو الفضلات مع تبيان ما لها من فضل في الإفادة، كذلك الحال بالنسبة لطول الجملة؛ حيث تحدث عن أقرب الوظائف إلى العناصر الإسنادية وهلم جراً.

كما تحدث في الفصل الثاني عن ترابط العناصر الإسنادية ثم اِنتقل إلى ترابط العناصر غير الإسنادية، وعلى نفس المنوال سار في الفصلين الثالث والرابع فبعد التوطئة يهيئ المتلقي بمبحثين عامين يحدد فيهما المصطلحات الأساسية لفهم المباحث الموالية " البنية الأساسية " نموذجا، أو ضرورة دراسة البناء الجملي للشعر في الفصل الرابع.

لكن ما يمكن ملاحظته هو نوع من "التشتت المنهجي" في الفصل الثاني خاصة عندما نتحدث عن ترابط العناصر غير الإسنادية؛ حيث كان يفضل الاِنطلاق من العلاقات المعنوية إلى العلاقات اللفظية، غير أن د. حماسة لم يسر وفق هذا النهج واِكتفى أحيانا بالتلميح إلى العلاقة المعنوية الرابطة مع التفصيل في العلاقات اللفظية وسرد اِختلافات النحاة حولها...

بيد أن د. حماسة تميز في هذا الكتاب بالمزاوجة بين جانبين اِثنين؛ الجانب النظري، ويمثله كل من الفصل الأول والثاني والثالث، والجانب التطبيقي، وهو محصور في الفصل الرابع.

ويجوز القول إن الفصول الثلاثة الأولى عبارة عن عدة معرفية وأدوات إجرائية تسعفنا في تحليل النصوص الأدبية بصفة عامة والنصوص الشعرية القديمة بصفة خاصة، فالمعرفة النظرية ليست كافية، فلكي تترسخ لابد من تطبيقها والكشف عن أبعادها التجريبية، وهذا شأن المعارف اللغوية اللسانية عامة، وسيتضح ذلك من الشق التطبيقي لدراستنا.

د- مستوى التطبيق:

تحدثنا سابقا عن تصنيف أحد الدارسين لكتاب د. حماسة في خانة الدراسات النظرية التي ناقشت بناء الجملة العربية نظريا، ونحن بذلك لا ننكر تضمن هذا الكتاب لجانب نظري يضم ثلاثة فصول من أصل أربعة، غير أنه من المجحف حقا تصنيفه ضمن باب الدراسات النظرية، وأبرز مبرر لذلك الفصل

الرابع المعنون ب: "بناء الجملة في الشعر القديم"، وتحديدا المبحثين الثاني والثالث يقول: "... حاولت للتدليل على ذلك في غير هذا الموضع، وسوف يجد الكاتب إشارة أخرى في الفصل الأخير من هذا الكتاب. "[154]؛ حيث بين تآلف النسج الشعري مع بناء الجملة عن طريق العديد من النماذج التطبيقية من الشعر الجاهلي، كما كشف عن مظاهر طول الجملة بهذا الشعر من خلال تطبيقه على بعض النماذج الشعرية القديمة، ويقول في مطلع هذا المبحث: " ومهما يكن من أمر، فهذه المحاولة في اِستلفات الاِنتباه إلى بناء الجملة في الشعر القديم خطوة ضرورية ينبغي أن يقوم بها النحويون – كما أعتقد – حتى يكون هناك تعاون بين دارسي العربية على فهم النص الشعري وطريقة تناوله."[155].

وبذلك يتضح أن ما جاء في الفصول الأولى خاصة تلك المتعلقة بطول الجملة عبارة عن أدوات إجرائية تساعد في تحليل البناء الجملي للقصائد العربية بصفة خاصة وباقي النصوص الأدبية بصفة عامة ويتضح ذلك من خلال هذين الاِقتباسين من تطبيقاته: "... ولكن الشاعر تدرج في وصف كل من الثلاثة وصفا خالف فيه بين النعت المفرد والنعت الجملة، واِستخدم الوسائل التي يتيحها النظام اللغوي لبناء الجملة من العطف والحال وغيرهما... "[156]، " هنا يستغل الشاعر الإمكانات اللغوية المختلفة في إطالة هذه الجملة، فيعدد النعت وينوع في النعت بالمفرد والجملة، ويطيل الجملة الفرعية في داخل هذه الجملة الطويلة نفسها... "[157].

وعلى العموم يتضح لنا أن د. حماسة اِعتمد منهجا مركبا يقوم بالدرجة الأولى على ما هو تراثي مما يبين المنحى التأصيلي في الكتاب وخير دليل على ذلك المستوى اللغوي باعتماده على لغة القدماء في كثير من الأحيان، ومستوى البحث النحوي في تأسيسه لفكرة البنية الأساسية التي تحاول تأصيل البحث النحوي وإنصاف النحاة العربي القدامى، أما على مستوى العرض فتتضح طبيعة التفكير العلمي التي

يتعامل بها د. حماسة مع مادة كتبه ومحاولة عرضها وفق قالب منهجي محكم يقوم على التدرج من العام إلى الخاص.

[154]- ن.م، ص: 15
[155]- ن م، ص: 370
[156]- ن م، ص: 371
[157]- ن م، ص: 379

الفصل الثاني: الأبعاد التجريبية للكتاب:

توطئـــــة:

أكدنا في غير موضع من هذا البحث أن كتاب د. حماسة يتضمن في طياته مجموعة من الأدوات والوسائل التي تسعفنا في التحليل التركيبي للنصوص، وبذلك فالمعرفة اللغوية واللسانية في الكتاب بصفة خاصة وسائر المصنفات بصفة عامة ليست مقصودة في ذاتها، بل هي وسيلة تمكننا من دراسة اللغة وفهمها ومن ثَم تعليمها وتعلمها، ولعل هذا ما يفسر وجود جانب تطبيقي في العلوم اللغوية يدعى باللسانيات التطبيقية.

واللسانيات كما هو معلوم تنقسم إلى العديد من الفروع، منها ما هو نظري ومنها ما هو وصفي أو ما هو تاريخي، غير أن اللسانيات باِعتبارها علما قائما بذاته لها جانب تطبيقي، ولعل أبرز جانب تطبيقي في اللسانيات هو مجال تعليم وتعلم اللغة؛ أي الجانب التربوي الذي يعد مجالا رئيسيا خصبا من مجالات البحث فيها والاِستفادة من نتائجه في إغناء مجال تعليم وتعلم اللغات.

ويتحتم علينا أولا قبل كل شيء تحديد مصطلح اللسانيات التطبيقية، فتعريفها في حد ذاته مشكل في طبعه لاِرتباطه بالعديد من المجالات والميادين؛ إذ هو علم حديث الظهور، يقول د. عبده الراجحي: "لاشك أن نتائج الدراسات اللغوية قد وجدت من يضعها موضع التطبيق منذ قرون، لكن (علم اللغة التطبيقي) لم يظهر باِعتباره ميدانا مستقلا إلا منذ نحو ثلاثين عاما، على أن هذ المصطلح ظهر حوالي 1946م حين صار موضوعا مستقلا في معهد تعليم اللغة الإنجليزية بجامعة (ميتشجان)... وقد شرع هذا المعهد يصدر مجلته المشهورة: (تعلم اللغة – مجلة علم اللغة التطبيقي)، ثم أسست مدرسة علم اللغة التطبيقي، في جامعة (أجنبره) 1958م... ولها مقرر خاص يحمل اِسم الجامعة في هذا المجال."[158] .

ونلاحظ أن د. عبده الراجحي يستخدم مصطلح علم اللغة التطبيقي عوض اللسانيات التطبيقية، لكن رغم اِختلاف الدال يبقى المدلول واحدا، وبذلك فإن الفضل في ظهور اللسانيات التطبيقية باِعتبارها علما مستقلا يعود إلى الأمريكيين الذين اِهتموا بهذا المجال نظرا للحاجة التواصلية التي خلقتها الحربان العالميتان الأولى والثانية، هذا وقد تعددت تعريفات هذا العلم فنجد د. محمد علي الخولي يعرفه بأنه "فرع من علم اللغة يبحث في التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء وتعليم اللغات."[159]، وهناك تعريف آخر أوضح نجده لدى د. حسن مالك؛ حيث يقول: " اللسانيات التطبيقية تهتم عموما بدراسة اللغة في اِرتباط مع ما تطرحه من مشاكل تطبيقية، مستفيدة من نتائج اللسانيات النظرية وعلوم أخرى. لكن هذا المصطلح

---

[158]- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، ص: 8

[159]- إبراهيم الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي، ص: 5، أورده حسن مالك، اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، ص: 63

يكاد يختص بمفهوم محدد: هو مجال تعليم وتعلم اللغات، ويرجع ذلك في الحقيقة إلى أن هذا المجال يعد المجال الأكثر تطورا ضمن مجالات علم اللسانيات التطبيقية."[160].

ويتضح لنا من تعريف د. حسن مالك أن اللسانيات التطبيقية لها العديد من المجالات نذكر منها: الترجمة – الإعلام – الحاسوبية – المعجمية... ولعل المجال التعليمي أهم مجال من هذه المجالات كما ذكرنا سابقا بل إننا نجد من الدارسين من يتحدث عن لسانيات تعليمية منهم د. نعمان بوقرة الذي يعرفها في معجمه قائلا: " تهتم [أي اللسانيات التعليمية] بالطرائق والوسائل التي تساعد على تعليم اللغة الأم، أو اللغات الأخرى التي يتعلمها الطلاب في المدارس كما تعد البرامج التي تؤهل معلم اللغة للقيام بواجبه الأكمل بمساعدة المخابر اللغوية، وهذا ما يعرف الآن بالديداكتيكية (la didactique)."[161].

ولعل ما يستلفت اِنتباهنا هو جعل د. نعمان الديداكتيك الذي يفيد علم التدريس مقابلا للسانيات التعليمية، ولهذا العديد من المسوغات خاصة إن كنا نتحدث عن الديداكتيك الخاصة بلغة معينة (اللغة العربية نموذجا)، فإذا كان الديداكتيك يشتغل وفق المستويات التالية:

- مستوى معرفي، حيث يتم التفكير في محتويات التعليم وطبيعتها وطرق بنائها...
- مستوى نفسي يهم شروط اِمتلاك التلميذ للمعرفة ودراسة تمثلاته والعوائق الحائلة دون ذلك؛
- مستوى علمي يهم المدرس حيث يدرس وضعيات التعلم بهذه صياغة نماذج تطبيقية تمكن المتعلم من تحصيل أفضل.[162]

فإن اللسانيات التطبيقية تتداخل مع الديداكتيك؛ إذ تتحدد مهمة اللساني فيها عبر: " نقل النتائج النظرية (لسانية – سيكو لسانية – سوسية لسانية – بيداغوجية...) إلى التطبيق؛ أي إلى مدرس اللغة بعد أن يعيد تنظيم المعطيات والمعلومات وتفسيرها لتتناسب مع ما تقتضيه العملية التعليمية."[163].

وعليه تتبين لها علاقة التلازم بين الديداكتيك واللسانيات التطبيقية، فنتائج اللسانيات التطبيقية يتمثلها الأستاذ ويحاول توظيفها عن طريق آليات ديداكتيكية ناجعة تحاول تعليم وتمهير المتعلمين في اللغة وبالتالي تتضح نجاعة هذه النظريات اللسانية، ويوضح د. حسن مالك هذه العلاقة بشكل ضمني في قوله: " واللسانيات التطبيقية بِاعتبارها مجالا علميا حيويا وديناميكيا لا تحصر اِهتماماتها في حدود المادة اللغوية وحدها، بل تعد ضمن فرضياتها خصوصيات المتعلم من حيث دوافعه وقابليته للتعلم وإيقاعه

[160]- حسن مالك، اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، ص: 68
[161]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 130
[162]عبدالعزيز خلوفة والمختار السعيدي، ديداكتيك اللغة العربية والمقاربة بالكفايات، ص: 24-25
[163]- حسن مالك، اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، ص: 72

وأسلوبه في التعليم وموقفه من المادة اللغوية... والمدرس من حيث علاقته بالتوجيهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته لعملية التعليم وكذا خبراته ومهاراته وفهمه للنظام اللغوي. "[164].

ومهما يكن من أمر، فإننا سننطلق من اللسانيات التطبيقية بهذا التحديد السابق لإبراز الأبعاد التجريبية في كتاب د. حماسة وذلك عن طريق تقديم نماذج تطبيقية لتحليل بناء الجملة في القصائد المقررة بالسنة الثانية الباكالوريا، ومحاولة الكشف عن دور هذا التحليل في إغناء معرفة التلميذ بالنص الأدبي من جهة، وتقوية صلاته باللغة عن طريق توظيف قواعدها في الكشف عن المعنى من جهة ثانية، وفي هذا تحقيق للكفايات المسطرة بالمقرر خاصة الكفاية التواصلية والثقافية والمنهجية.

غير أن ما يمكن ملاحظته هو الغياب المطلق للدرس النحوي في مختلف المسالك الأدبية بالتعليم الثانوي التأهيلي، والِاقتصار على إعادة بعض الدروس النحوية بالنسبة للشعب العلمية، ولهذا فلا بد من إعادة النظر في هذه المسألة ومحاولة إعداد مقاربة جديدة في تدريس مكون علوم اللغة بالنسبة للمسالك الأدبية وضرورة إضافة الدروس النحوية والصرفية أيضا، ولعل أبرز مسوغ لذلك تفادي الهنات التي يقع فيها التلاميذ بعد اِلتحاقهم بالتعليم العالي خاصة في مسلك الدراسات العربية؛ حيث يجدون صعوبة في مواكبة الدرس النحوي مبررين هذه الصعوبة في أغلب الأحيان بالقطيعة التي تدوم لأزيد من ثلاث سنوات أحيانا.

وليس السبيل هنا هو إعادة إدراج الدرس النحوي والصرفي بالصيغة التقليدية في مكون علوم اللغة؛ حيث تبقى هذه الوسيلة عقيمة في ظل غياب جانب وظيفي لها، وبذلك سنحاول تأسيس نظرة جديدة للدرس النحوي عن طريق ربطه بمكون النصوص وتوظيفه في تحليلها. فإذا كان الدكتور حماسة يدعو بذلك للاِستفادة منه في مجال النقد الأدبي، فإننا ننقل ذلك إلى مجال تدريس النصوص الأدبية؛ فالنحو في الأصل علم النص وليس محصورا في بعض الأمثلة المصطنعة الجامدة، وبذلك لابد من إحياء الدرس النحوي عن طريق دمجه بمكون النصوص وبالتالي ربطه بالمعنى، فـ " تعامل التلاميذ مع الأدب في المدرسة ليس بمعزل عن النظريات التي يقوم عليها نقد الادب أو فهمه أو درسه أو التأريخ له... ذلك أن هذا التعامل يتم في شبكة من المؤثرات المتصلة، سواء من بعيد أو من قريب بما يجد في درس الأدب من نظريات. لهذا نرى تدريس الأدب يحاول أن يواكب حركة النقد الأدبي ويسعى إلى الاستفادة منها... طموحا إلى مزيد من النجاعة والثراء".[165]

و من النماذج التي اِخترناها للتطبيق قصيدتين شعريتين تنتميان لتيارين مختلفين، الأولى تيار البعث والإحياء، والثانية لتيار تكسير البنية (الشعر الحر) وسنحاول إبراز تفاعل بناء الجملة مع الأولى

[164]- نفس المرجع، ص: 73

[165]- الحسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، ص: 5-6

من خلال القافية، كما سنبين مظاهر طول الجملة في التصوير الشعري بها وأيضا في الشعر الحر وعلاقة طول الجملة بالدفقة الشعورية، وسنختتم هذا التطبيق ببعض الإشارات التي تفيد كيفية الإِستفادة من هذا الإجراء المنهجي المهم في ظل القراءة المنهجية بِإعتبارها الإِستراتيجية الناجعة والرسمية في قراءة النصوص.

المبحث الأول: تطبيق على نص شعري إحيائي:

النص الشعري: "لي في من مضى مثل" للشاعر محمود سامي البارودي

المرجع: كتاب "واحة اللغة العربية"، السنة الثانية من سلك الباكالوريا، مسلكا الآداب والعلوم الانسانية ص 24

- تنتمي هذه القصيدة للشاعر " محمود سامي البارودي " إلى تيار الشعر الإحيائي، وبالتالي فمن الطبيعي أن نجد فيها تقاطعا مع الشعر القديم خاصة على مستوى بناء القصيدة؛ حيث نجد تعددا في الأغراض الشعرية فمن المقدمة العاطفية التي تغنى فيها بمرحلة صباه بعد شيب لمته إلى الإِفتخار بفروسيته وفتكه بالأعداء وقيادته للجند في مرحلة الحرب ثم قيادته لرفقته في مرحلة السلم؛ حيث يصف لنا رحلة الصيد معهم، ثم ينتهي بغرض الحكمة مقدما الوعظ والإرشاد الى المتلقي على شاكلة الشعراء القدامى...

1- رَدّ الصِّبَـا بَعدَ شَيْبِ اللِمَّـةِ الغَــزَلُ --- ورَاحَ بالجِـدِّ ما يأتِـي بِهِ الهَــزَلُ

2- وعَـــادَ مَا كَـانَ مِنْ صَبْرٍ إلى جَزَعٍ --- بَعْـدَ الإِبَاءِ؛ وأَيَّـامُ الفَتَـى دُوَلُ

3- فَلَو قَدَرْتُ عَلَى شَيءٍ هَمَمْـتُ بِــهِ --- فِي الحُبِّ، لَكِنْ قَضَاءٌ خَطّهُ الأَزَلُ

4- ولِلْمَحَبَّــةِ قَبْلِــي سُنَّـــةُ سَلَفَـــتْ --- فِي الذّاهِبِينَ؛ وَلِي فِي مَنْ مَضَى مَثَلُ

5- فَــإِنَّ تَكُنْ نَازَعَتْنِي النّفْسُ بَاطِلَهَا --- وَأَطْلَعَتْنِـــي عَلَى أَسْرَارِهَا الكِلَــــلُ

6- فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامَ القَوْمِ ضَاحِيَّــــةً --- وَالجَوّ بِالباتِرَاتِ البِيضِ مُشْتَعِــــلُ

7- بِكُلِّ أَشْقَرَ قَدْ زَانَــتْ قَوَائِمُـــهُ --- حُجُولهُ غَيْرَ يُمْنَــى زَانَهَا العَطَــــلُ

8- كَأَنّــهُ خَاضَ نَهْـرَ الصُّبْحِ، فَانْتَبَذَتْ --- يُمْنَاهُ، وانبَثَّ فِي أَعْطَافِهِ الطّفَــلُ

9- زُرْقٌ حَوَافِرُهُ، سُودٌ نَوَاظِـــرُهُ --- خُضْـرٌ جَحَافِلُــهُ فِي خَلْقِــهِ مَيَــلُ

10- أُمْضِي بِهِ الهَوْلَ مِقْدَامًا وَيَصْحَبُنِي --- مَاضِي الغِرَارِ إِذَا مَا اِسْتَفْحَلَ الوَهَلُ

11- يَمُــــرّ بِالهَامِ مَرّ البَرْقِ فِي عَجَـلِ --- وَقْتَ الضِّرَابِ، وَلَم يَعْلَقْ بِهِ بَلَـلُ

12- تَرَى الرِّجَالَ وُقُوفـًا بَعْدَ فَتْكَتِـــهِ --- بِهِــمْ، يُظَنُّونَ أَحْيَـاءً وَقَدْ قُتِلُـــوا

13- كَأَنَّهُ شُعْلَـــةٌ فِي الكَفِّ قَائِمَـــةٌ --- تَهْفُو بِهَا الرّيحُ أَحْيَانًا، وَتَعْتَـدِلُ

14- يَفُلُّ مَا بَقِيَتْ فِي الكَــفِّ قَبْضَـــتُهُ --- كُــلَّ الحَدِيدِ، وَلَمْ يَثْأَرْ بِهِ فَلَــلُ

15- بَلْ رُبّ سَارِيَةٍ هَطْلاَءَ دَانِيَــــةٍ --- تَنْمُو السَّوَامُ بِهَا، والنَّبتُ يَكْتَهِــلُ

16- يَمَّمْتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِــمْ --- لَبُّوا سِرَاعًا، وَإِنْ أَنْزِلْ بِهِمْ نَزَلُــوا

17- فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أَوْ بِعْضُ ثَانِيَــــةٍ --- إِلاّ وَلِلصّيْدِ فِي سَاحَتِنَا نُــزُلُ

18- فَكَانَ يَوْمَا قَضَيْنَـا فِيهِ لَذَّتَنَــا --- كَمَا اِشْتَهَيْنَا، فَلَا غِـشٌّ، وَلاَ دَغَــلُ

19- هَذَا هُوَ العَيْـشُ، لاَ لَغْوُ الحَدِيثِ، وَلاَ --- مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذُو الإِفْكَةِ النَّمِلُ

20- فَاتْبَعْ هَوَاكَ، وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِــهِ --- فَأَكْثَرُ النّاسَ - إِنْ جَرَّبْتَهُمْ- هَمَــلُ

21- وَاعْرِفْ مَواضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَــلٍ --- فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينَ يَحْسُنَ العَمَلُ

22- فَالرّيْثُ يُحْمَدُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ، كَمَا --- فِي بَعْضِ حَالاَتِهِ يُسْتَحْسَنُ العَجَلُ

23- هَذَا هُوَ الأَدَبُ المَأْثُــورُ فَارْضَ بِـــهِ --- عِلْمًا لِنَفسِكَ فَالأَخْلاَقُ تَنْتَقِلُ

ديوان محمود سامي البارودي، شرح علي عبدالمقصود عبدالرحيم، دار الجليل بيروت، ط1، 1995، ص:430 وما بعدها(بتصرف).

نلاحظ أن القراءة المنهجية المعتمدة في تحليل هذا النص والقائمة على خمس مراحل لا تعتمد على دراسة بناء الجملة في القصيدة حيث تكتفي ب:



بناء على ذلك نجد أن المعطى النحوي الوحيد الذي تخصه القراءة المنهجية بالدرس هو بنية الضمائر وأحيانا أخرى طبيعة الأفعال عند دراسة الأساليب في مرحلة التحليل وهذا يدل على قصور كبير في توظيف الدروس النحوية التي تمت دراستها لأزيد من تسع سنوات في مستوى التعليم الاِبتدائي ومستوى الثانوي الإعدادي...

وعليه سنحاول دراسة بناء الجملة لهذه القصيدة موظفين مجموع المعطيات النحوية التي تم التطرق لها سابقا، ومحاولة تحيينها وملاءمتها مع طبيعة مستوى الفئة المستهدفة مظهرين بذلك نجاعة هذا الطرح في توظيف الدرس النحوي في تحليل النصوص الأدبية.

أ – على مستوى تآلف بناء القصيدة مع بناء الجملة:

تطرقنا سابقا إلى أن د. حماسة بين مظاهر الإئتلاف بين البناءين على مستويين اِثنين: الأول مستوى الوزن الشعري، والثاني مستوى القافية، وسنخص بالدرس هنا المستوى الثاني لعدة أسباب نذكر منها:

- اِهتمام الشعراء بالقوافي على النحو الذي ذكرناه آنفا؛
- أول جرس موسيقي يستلفت اِنتباه التلميذ للقصيدة هو صوت القافية؛
- مرونة بناء الجملة وتعدد الوظائف النحوية أكثر ما يكون ظاهرا في القافية...

وبملاحظتنا للقصيدة نجد أن رويها مضموم مما يعني أن بناء الجملة سيوفر لها مجموعة من الوظائف النحوية ذات العلامة الإعرابية المضمومة كالمبتدأ والخبر والفاعل نائبه والفعل المضارع المرفوع بالعلامة الظاهرة وتوابع هذه الوظائف...

والوظيفة التي تهيمن على القصيدة هي الفاعل المرفوع فتمتد إلى عشرة أبيات من أصل ثلاثة وعشرين بيتا، وبذلك فأي متعلق بالفعل أو مقيد له سيتقدم على الفاعل وهذا واضح في ما يلي:

(راح بالجد ما يأتي به الهزلُ) تقدم الجار والمجرور (به) المتعلق بالفعل يأتي على الفاعل (الهزلُ)، والتقديم والتأخير هنا خدم جرس القافية فالأصل هو: (ما يأتي الهزلُ به)، لكن جرس القافية اِقتضى تأخر الجار والمجرور على الفاعل.

(أطلعتني على أسرارها الكللُ) تأخر الجار والمجرور (على أسرارها) عن الفاعل (الكللُ).

هكذا الحال في: (اِنبث في أعطافه الطفلُ / لم يعلق به بللُ / لم يثأر به فللُ).

كما تقدم المفعول به عن الفعل لأنه ضمير متصل بالفعل: (خطه الأزلُ / زانها العطلُ).

وباقي القوافي اِحتفظ في فيها الفاعل برتبته: (اِستفحل الوهلُ / يحسن العملُ / يستحسن العجلُ).

ثاني هذه الوظائف هي الخبر المفرد (ثلاثة أبيات) والخبر بطبيعته متأخر: (أيام الفتى دولُ) (والجَوُّ بالبَاتِراتِ البِيضِ مُشْتَعِلُ) وقد تقدم الجار والمجرور المتعلق باِسم الفاعل، (أكثر الناس – إن جربتهم – هملُ) وقد خدمت الجملة الاِعتراضية هنا الوزن وزادت من وضوح المعنى خصوصا أنها جاءت بين عنصرين متلازمين (المبتدأ والخبر).

إلى جوار الخبر نجد القافية تشغل وظيفة الفعل المرفوع (خمسة أبيات): (تهفو بها الريح أحيانا وتعتدلُ) ونلاحظ هنا أن القافية جاءت فعلا مضارعا مرفوعا فاعله مستتر يعود على فاعل فعل

آخر تقدم عليه ربطت بينهما أداة عطف (الواو)، وهو بذلك يدخل في تركيب جملة تشغل بمجملها وظيفة النعت؛ حيث يصف الشاعر هنا الشعلة، أيضا في (تنمو السوام بها والنبت يكتهلُ)؛ حيث نجد القافية هنا فعلا مضارعا مرفوعا تأخر عن الفاعل ليدخل البناء بذلك في البنية الأساسية للجملة الإِسمية ويكون الفعل يكتهل بموجب هذا خبرا جملة فعلية للمبتدأ (النبتُ)، أيضا وقعت القافية فعلا جاء في جواب الشرط (وإن أنزل بهم نزلُوا) وهو فعل ماض مبني على الضم لاِتصاله بواو الجماعة، أيضا (فالأخلاق تنتقلُ) وهي فعل مضارع مكونة لخبر جملة فعلية: خبر (الأخلاقُ)، (يظنون أحياءً وقد قتلُوا) والفعل هنا مبني للمجهول مبني على الضم ونائب الفاعل هو واو الجماعة.

أما المبتدأ فأربعة أبيات: (في خلقه ميلُ)، (إلا للصيد في ساحاتنا نزلُ)، (لي في من مضى مثلُ)، (لا غش ولا دغل)، والملاحظ أن الخبر تقدم على المبتدأ لأنه جاء نكرة محضة، لذلك كان الخبر شبه جملة مكونة من جار ومجرور، أما في النموذج الأخير فالخبر محذوف تقديره (كون عام).

أما البيت المتبقي فالوظيفة التي شغلته هي وظيفة النعت (ما يستغير به ذو الاِفكة النملُ) وهو نعت ثان للفاعل المستتر للفعل (يستغير)...

وعليه نلاحظ هيمنة وظيفة الفاعل، وهذا يدل على حركية وديناميةِ القصيدة، ويبين كيف اِستطاع الشاعر أن يربط الأفعال وفواعلها مع الفاعل المحوري الثابت من حيث الدال والمتغير من حيث المدلول، فهو الشاعر الفارس المحارب الصديق والحكيم، وكل عنصر في هذه القصيدة إنما يرتبط به، فوصف الفرس والسيف مثلا إنما هو وصف لقوة الشاعر ومكانته باعتبارهما يدخلان في ملكيته، فالوصف هنا وصف الكل بالجزء.

ب- على مستوى طول الجملة:

رأينا في المبحث الأخير من الفصل الرابع أن الجملة تطول في الشعر العربي عندما تنزع للتصوير، وقد حاول د. حماسة تقديم نماذج تطبيقية لذلك، فاِتضح أن بناء الجملة يتمدد ويتشابك عند تصوير الشاعر إما لمحبوبته أو راحلته أو أحاسيسه... والوظيفة التي يغلب عليها الطول هي الخبر والنعت والحال، ومرد ذلك إلى أن الإخبار عن المبتدأ بالخبر المفرد مثلا لا يستوفي القصد التعبيري للشاعر كما أنه لا يؤثر في المتلقي بالشكل الكافي، لكن يمكن الإخبار عنه بالجملة التي قد تطول نفسها إما عن طريق وظائفها الاِسنادية، أو عن طريق الفضلات التي تتعدد هي الأخرى وهذا يغني الدلالة ويقويها، وخير دليل على ذلك تشبيه التمثيل الذي يعتمد بشكل كبير على التركيب مما يقوى وظيفته ويحولها من مجرد التعبير إلى التأكيد والحجاج، أما النعت والحال فالوصف وتبيان الهيئة يكون أكثر دقة وبلاغة إذا اِشتمل دلالة عدة ألفاظ بدل لفظ واحد.

وسنقوم بتحليل بعض الصور الشعرية في القصيدة لتبيان كيف يمكن لبناء الجملة أن يتفاعل مع المعطى التعبيري التصويري. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في المجال التربوي وتماشيا مع طبيعة العمل الديداكتيكي الذي يقوم بالدرجة الأساس على التبسيط ونقل المعرفة من طورها العالم إلى طورها المتعلم فإن التحليل لن يكون بنفس العمق والدقة التي نجدها لدى د. حماسة وهذا ما يسمى بِإنتقال النظريات؛ إذ اِنتقال نظرية من مجال إلى آخر لا يعني بقاء النظرية على حالها بل قد تسقط منها أشياء وتكسب أشياء أخرى تماشيا مع طبيعة الحقل المعرفي الذي أُلحقت به، ويزداد الأمر تعقيدا عندما نتعامل مع نصوص مقتطفة من العمل الأدبي ككل، فالقصيدة التي بين أيدينا مثلا لا تمثل سوى ثلاثة وعشرين بيتا من أصل أربعة وخمسين في ديوان البارودي.[166]

وفي القصيدة تطول الجملة عند وصف الفرس والسيف؛ حيث يقول مثلا في وصف السيف:

أمضي به الهول مقداما ويصحبني --- ماضي الغرار إذا ما استفحل الوهل

يمر بالهام مر البرق في عجل --- وقت الضراب، ولم يعلق به بللُ

ترى الرجال وقوفا بعد فتكته --- بهم، يظنون أحياء وقد قتلُوا

كأنه شعلة في الكف قائمة --- تهفو بها الريح أحيانا، وتعتدلُ

يفل ما بقيت في الكف قبضة --- كل الجديد، ولم يثأر به فللُ

وقد طالت الجملة هنا لتشمل خمسة أبيات كلها في وصف السيف الذي وقع فاعلا (ماضي الغرارِ) وقد تم تقييد الفاعل (ماضي الغرارِ) بالحال الجملة (يمرُّ) وفاعلها ضمير مستتر يعود على (ماضي الغرار) وقد طالت جملة الحال طول تقييد عن طريق المفعول المطلق (مرَّ البرقِ) وعن طريق الجار والمجرور (في عجلٍ) والمفعول فيه (وقتَ الضرابِ)، ويتشابك التركيب داخل الجملة الصغرى نفسها فيقيد فاعل (يَمرُّ) وهو السيف بالحالِ مجددا (ولم يَعلقْ بهِ بللُ)، ثم نجد طول التعدد؛ حيث يتعدد الحال الذي قيد به الفاعل الأول (ماضي الغرارِ)، وهي جملة فعلية ثانية (تَرى الرجالَ)، وقد قيدت الجملة الفعلية هنا أيضا بحال مفرد (وقوفا) وبالمفعول فيه (بعد)، وتتشابك التركيب هنا أيضا عن طريق تبيان هيئة الاِسم المجرور (ضمير: هم) وكان الحال بذلك جملة فعلية (يظنون أحياء) التي تعددت بحال ثانية (وقد قتلوا). ثم نجد الحال الثالثة جملة اِسمية (كأنه شعلةٌ) وهنا يشبه الشاعر السيف (ماضي الغرار) بالشعلة، ونعت الشعلة بنعتين الأول مفرد (قائمةٌ) والثاني جملة فعلية (تَهفو بها الريحُ أحيانا)، وعطفت على جملة النعت جملةٌ أخرى (وتعتدل) ونلاحظ هنا طول تبعية وطول تعدد وطول تعاقب، ثم نجد الحال الأخيرة (يفلُ) وقد قيد الفعل هنا بمفعول به طال عن طريق المركب

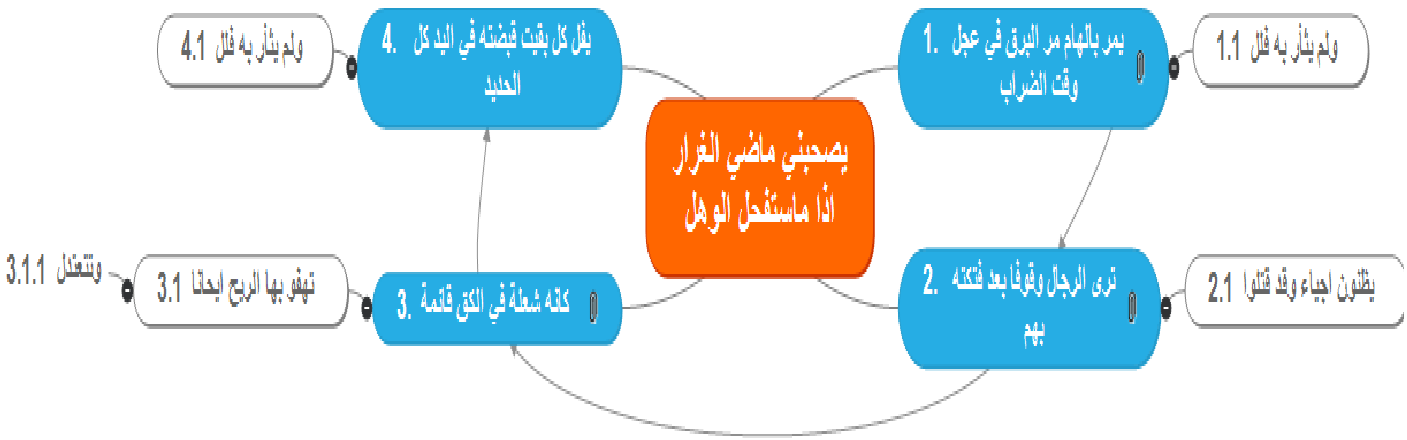
[166]- ديوان البارودي، قافية اللام، ص: 468، 477

الاِسمي: (ما بقيت في الكف قبضته) وطول تعدد (كلَّ الحديدِ)، هذا ونجد طول تقييداً حيث يقيد فاعل (يفلُ) وهو السيف بالحل الجملة (ولم يثأر به فللُ).

ونلاحظ هنا كيف إستطالت الجملة الواحدة (يَصحبني مَاضي الغرارِ) عن طريق طول التقييد من جهة (الحال) وطول التعاقب من جهة ثانية (قيام الجملة مقام المفرد) وطول التعدد من جهة ثالثة (تعدد الحال الجملة)، وداخل هذه الجمل الفرعية يتشابك التركيب ويتعقد...

وبهذا فإن الشاعر إستطاع تصوير السيف تصويرا بليغا وقد إستعان في ذلك بمرونة بناء الجملة؛ حيث حوله لسيف أسطوري يقطع هام الأعداء بسرعة البرق فلا يبقى فيه أثر من دمائهم، وبهذه السرعة يظلون برهة واقفين بعد فتكته بهم، فيخيل للناظر إليهم أنهم أحياء وقد قتلوا، فالسيف هنا كشعلة نار قائمة تميل بها الريح أحيانا في دلالة على بريق السيف وإنسيابه في القضاء على الأعداء، وهو سيف قوي يعقطع ويكسر كل الحديد؛ أي كل الدروع والسيوف والخوذات، دون يُكسر أو يُخدش حَدُّه.

ويمكن تلخيص تشابك تركيب الجملة في هذه الصورة وفق الخطاطة التالية:



ولعل القصيدة الكاملة قد نجد فيها الجملة الواحدة تمتد لأكثر من هذا الإمتداد هنا، لكن ما يهمنا هو قياس مدى تفاعل قواعد اللغة وبناء الجملة مع السجية الشعرية.

المبحث الثاني: التطبيق على نص شعري حر(تكسير البنية):

ذلك بالنسبة للشعر العمودي أما فيما يخص الشعر الحر أو ما يصطلح عليه حسب المنهاج الدراسي الحالي شعر تكسير البنية، فإنه أيضا يتميز بمرونة تركيبه للغة وإن كان قد تخلى عن وحدة

القافية التي عهدناها في الشعر العمودي إلا أنه ظل محتفظا بالتفعيلية الشعرية كأساس عروضي له، وتتولى الأسطر الشعرية وفق هذا النسق العروضي؛ حيث قد تطول أو تقصر تبعا لما يصطلح عليه بالدفقة الشعورية، لكن تمتد الجملة أحيانا بل وتتعدى السطر الواحد لتشمل مجموعة من الأسطر، ويوضح د. عزالدين إسماعيل ذلك بقوله: " أما الصورة الثالثة من صور التشكيل الموسيقي للشعر الجديد فصورة الجملة الشعرية، وهي – كما قلنا – الصورة المتطورة عن صورة السطر الشعري. فإذا كان السطر الشعري بنية موسيقية تشغل من حيث الحيز سطرا من القصيدة، يصل اِمتداده الزمني في بعض الأحيان... تسع تفعيلات... **فإن الجملة الشعرية بنية موسيقية أكبر من السطر وإن ظلت محتفظة بكل خصائصه؛ فالجملة تشغل أكثر من السطر، وقد تمتد أحيانا إلى خمسة أسطر وأكثر**... وكل من عانى تجربة الشعر يعرف كيف تمتد الدفقة الشعورية في النفس في بعض الأحيان فتبلغ حدا من الطول لا يقبله إطار البيت التقليدي المحدود الطول، المغلق بقفل القافية، كما لا يكفيه السطر الشعري الواحد وإن اِمتد زمنيا لتسع تفعيلات... ولكن لعله قد تبين للشعراء أن السطر مهما اِمتد فإن له طولا معقولا لا يستطيع أن يجاوزه... وكان لابد عندئذ من تطويع الشكل التعبيري للشعور، مهما اِمتدت دفقة هذا الشعور، ومن هنا كان لابد من الخروج إلى ما سميناه بالجملة الشعرية. والجملة الشعرية نفس واحد ممتد. "[167].

وقد سقنا هذا القول – رغم طوله – لتوضيح فكرة الجملة الشعرية داخل القصيدة الحرة، غير أنه وباِعتبارها مكونا أساسيا في بناء القصيدة الحداثية فالقراءة المنهجية المعتمدة لا تخصها بالدرس، ويزداد الأمر غرابة إن قلنا إن ما أشرنا إليه سابقا من حديث د. عز الدين إسماعيل قد ورد في نص نظري يهيء المتعلم للتعرف على تيار تكسير البنية وخصائصه الفنية، فكيف يعقل أن يتلقى التلميذ معلومات نظرية ولا يفسح له المجال لتطبيقها؟

ويتضح هذا القصور بشكل جلي في القراءة المنهجية المعتمدة في تحليل النص الشعري التطبيقي مباشرة بعد هذا الشق النظري وهي نفس الطريقة المعتمدة في القراءة المنهجية السابقة، وبذلك فإننا سنسير وفق المنهج السابق في تبيان غنى البناء الجملي داخل القصيدة الشعرية الحرة وفي هذا دعوة إلى ضرورة الاِهتمام بهذا البناء، وسنركز في ذلك على طول الجملة منطلقين من التحديد الذي قدمه د.عزالدين إسماعيل للجملة الشعرية وربطه إياها بالدفقة الشعورية العميقة، ومستعينين في نفس الآن بتصنيف د. حماسة لأنواع طول الجملة وربطها بالمعنى.

القصيدة: "لنكن أصدقاء" للشاعرة العراقية نازك الملائكة.

[167]- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 108-109-110

المرجع: كتاب "واحة اللغة العربية"، السنة الثانية من سلك الباكالوريا، مسلكا الآداب والعلوم الانسانية ص 88

لنكن أصدقاءْ
في متهات هذا الوجود الكئيبْ
حيث يمشي الفناء ويحيى الدمارْ
في زوايا الليالي البطاءْ
حيث صوت الضحايا الرهيبْ
هازئا بالرجاءْ
لنكن أصدقاءْ
فعيون القضاءْ
جامدات الحدقْ
ترمق البشر المتعبينْ
في دروب الأسى والأنينْ
تحت سوط الزمان النزقْ
لنكن أصدقاءْ،
الاكف التي عرفت كيف تجبي الدماءْ
وتحظ رقاب الخليين والأبرياءْ
ستحس اِختلاج الشعورْ
كلما لامست إصبعا أو يدا
والعيون التي طالما حدقت في غرورْ
ترمق الموكب الأسودا
موكب الرازحين العبيدْ
هذه الأعين الفارغاتْ
ستحس الحياةْ
ويعود الجمود البليدْ
خلفها ألف عرق جديدْ
والقلوب التي سمعت في اِنتعاشْ
صرخات الجياع العطاشْ
ستذوب بكاء على الجائعينْ
ستذوب لتسقي صدى الظامئين
كأسة ولتكن ملئة بالانينْ
لنكن أصدقاءْ
نحن والحائرون
نحن والعزل المتعبونْ
نحن والثملون بخمر الرخاءْ
والذين ينامون في القفر تحت السماءْ
نحن والتائهون بلا مأوى
نحن والصارخون بلا جدوى
نحن والأسرى
نحن والأمم الأخرى
في بحار الثلوجْ
في بلاد الزنوجْ
في بعيد الديارْ
ووراء البحارْ
في الصحاري، وفي القطب، وفي الدن الامنه
في القرى الساكنه
أصدقاء بشرْ
أصدقاء ينادون اين المفرْ؟
ويصيحون في نبرة ذابله
ويموتون في وحدة قاتله
أصدقاء جياع، حفاة، عراه
لفظتهم شفاه الحياه
إنهم أشقياءْ
فلنكن أصدقاءْ

نازك الملائكة، شظايا ورماد، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، 1986، ص: 143ومابعدها (بتصرف).

ويمكن دراسة بناء الجملة في هذه القصيدة عن طريق ظاهرة طول الجملة التي تبين لنا مرونة البناء اللغوي للعربية من جهة، وقدرة الشاعر على التحكم في هذا البناء من جهة ثانية، وبما أن الجملة في الشعر العمودي قد تمتد لتشمل أزيد من بيت فإن ذلك لا يختلف عن الشعر الحر؛ حيث بإمكان الجملة الواحدة أن تشمل أزيد من سطر وقد تمتد لتشمل أحيانا مقطعا شعريا كاملا... وجدير بالذكر أن هذه القصيدة في الكتاب المدرسي ليست إلا جزءا من القصيدة الأصلية ذات السبعة وثمانين بيتا [168] مما يعني مزيدا من الأسطر والجمل الشعرية...

ولعل أول جملة تلفت اِنتباهنا هي تلك التي تمتد لتشكل المقطع الأول للقصيدة:

لنكنْ أصدقاءْ

في متهات هذا الوجود الكئيبْ

حيث يمشي الفناء ويحيى الدمارْ

في زوايا الليالي البطاءْ

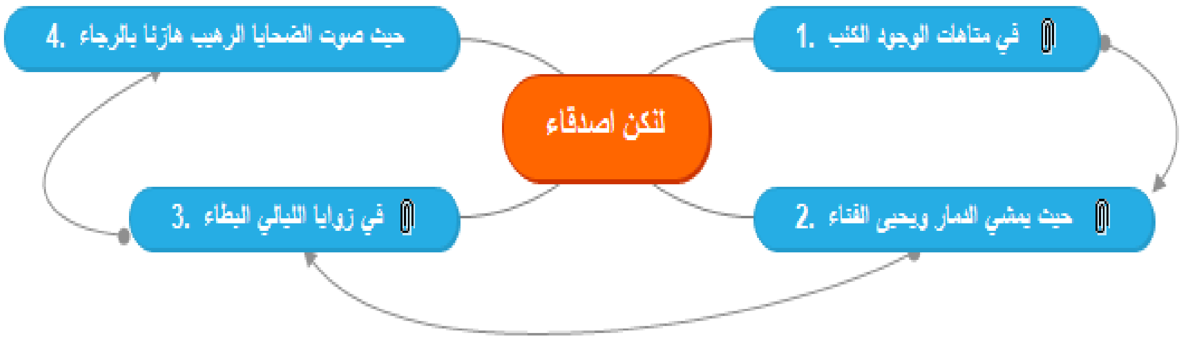
حيث صوت الضحايا الرهيبْ

هازئا بالرجاءْ

فالشاعرة هنا اِستهلت قصيدتها بفعل ناقص (لِنَكُنْ) وقد لحقت به لام الأمر، أما اِسمها فضمير مستتر تقديره (نحن) في حين (أصدقاءْ) خبرها منصوب، وقد جزمت الشاعرة هذه الوظيفة محدثة ما يسمى بالاِنزياح النحوي، وهو حاضر بقوة في القصيدة. وقد شكلت الجملة الاِسمية السطر الأول لكن بما أن الدفقة الشعورية للشاعرة لم تنته بعد؛ فإنها اِستطاعت أن تمدد هذه الجملة عن طريق طول التقييد (في متاهات هذا الوجود الكئيب) والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر (نَكُنْ) واِمتدت شبه الجملة هنا عن طريق الإضافة (هذا الوجودِ) وتبعية النعت (الكئيب)وهنا أيضا اِنزياح نحوي؛ حيث جزمت الشاعرة النعت الذي من المفروض أن يكون مجرورا لأنه تابع للبدل (الوجود) ولم تتوقف الشاعرة عند هذا الحد بل اِمتدت دفقتها الشعورية لتطيل الجملة في السطر الثالث طول تقييد عن طريق ظرف الزمان المبني على الضم (حَيْث) وهو مضاف والجملة (يمشي الفناءُ) مضافة إليه وعطفت عليها جملة أخرى (ويحيى الدمار) والدمار هنا فاعل مرفوع جزم اِنزياحا، هذا ويتوالى طول التقييد في ثلاثة أسطر المتبقية من المقطع(في زوايا الليالي البطاء) وهي شبه جملة متعلقة بالفعل الناقص (نكن) والمفعول فيه الذي أضيفت إليه جملة اسمية (حيثُ صوتُ الضحايا الرهيب) ونعت مبتدأ الجملة المضافة إلى الظرف (الرهيب) وتم تقييده أيضا بحالٍ في السطر الأخير (هازئاً بالرجاءِ).

[168]- نازك الملائكة، شظايا ورماد، ج2، ص: 143 وما بعدها

ونلاحظ كيف اِستطاعت الشاعرة تمديد الجملة تماشيا مع دفقتها الشعورية والتي شملت خمسة أسطر؛ أي مقطعا شعريا كاملا حيث أذنت باِنتهائه عن طريق تكرار اللازمة في السطر الموالي لها (لنكن أصدقاء)، كما أنه تمت إطالة الجمل الفرعية عن طريق طول التبعية... ويمكن تلخيص ذلك في الخطاطة التالية:



وتقدم الشاعرة هنا دعوة للصداقة وهذه الصداقة موجهة للضمير المستتر (نحن) والمقصود بها الإنسانية، فالصداقة ملحة في ظل هذه الوضعية المأساوية (الوجود الكئب / الدمار والفناء / الضحايا...) والجمل طالت هنا لتصوير هذا الواقع المؤلم الذي لا يمكن للمرء الخروج منه لوحده بل لابد من التآزر والتعاون بين بني البشر جميعا لتحقيق المحبة الإنسانية وبالتالي نشر الطمأنينة والأمن والسلم.

وقد إعتمدت نازك هذه التقنية أيضا في باقي القصيدة فالمقطع الموالي إمتدت فيه جملتان عطفت إحداهما على الأخرى كدليل على اِرتباطهما دلاليا:

لنكن أصدقاء

فعيون القضاء

جامدات الحدق

ترمق البشر المتعبين

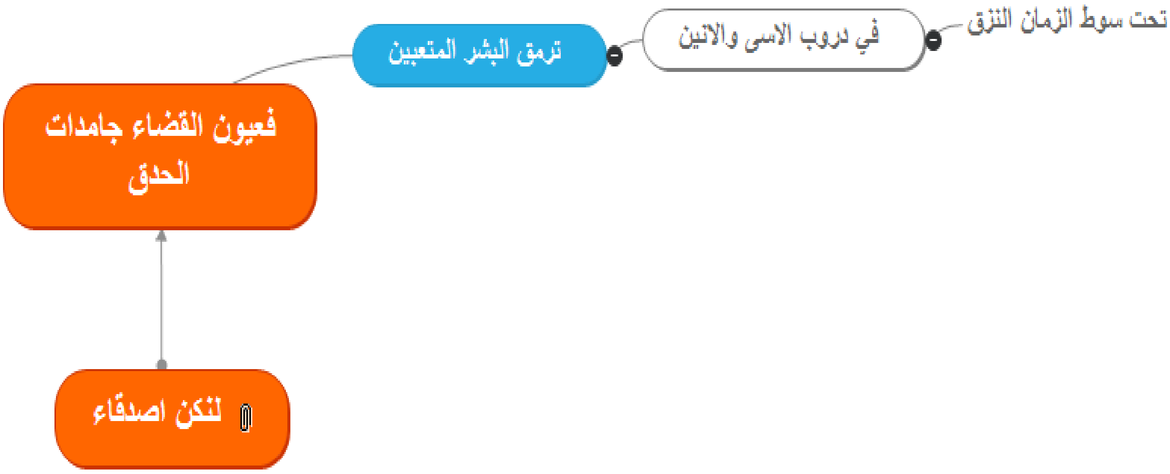
في دروب الأسى والأنين

تحت سوط الزمان النزق

(لنكن أصدقاء) جملة عطفت عليها (فعيونُ القضاءِ) عن طريق الفاء التي تعطف الجمل وهذا ما أكده اِبن يعيش(ت643هـ) في شرحه للمفصل؛ حيث يرى أن الغرض من عطف الجملة ربط بعضها ببعض واِتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى [169] وبذلك لم تقطع الدلالة.

وقد اِمتدت الجملة الثانية المرتبطة بالأولى لتشمل أربعة أسطر، واِستعانت الشاعرة في ذلك بطول التبعية عن طريق نعت المبتدأ (عيونُ) بالنعت الجملة وهنا أيضا طول تعاقب (ترمقُ البشرَ المتعبينَ) وطالت جملة النعت أيضا عن طريق التقييد (البشرَ) والتبعية (المتعبينَ) والتقييد أيضا عن طريق الجار والمجرور (في دروبِ) التي نعت الإِسم المجرور فيها ب(الأسَى والأنينِ) وعن طريق المفعول فيه (تحتَ سوطِ الزمانِ) التي نعت المضاف إليه الثاني له (الزمانِ) بـ (النزقِ).

ويمكن تمثيل تشابك التركيب في هذا المقطع وفق الخطاطة التالية:



ويشكل هذا المقطع تأكيدا للمقطع السابق حيث تدعوا الشاعرة مجددا للصداقة الإنسانية كمواجهة للقضاء والزمان النزق، وهذه الوضعية المأساوية تصورها الشاعرة عن طريق إطالة بناء الجملة بالوصف؛ أي النعت، وأيضا عن طريق التقييد.

[169]- اِبن يعيش، شرح المفصل، 75/3، أورده حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 194

وإلى جوار طول الجملة نجد الاِنزياح في أواخر الكلم؛ حيث اِقتصرت الشاعرة على تسكين أواخر الأسطر الشعرية رغم أنها وظائف ذات حركات وأصوات محددة تنتهي بها كالفتحة في (أصدقاءَ – المتعبينَ) والكسرة في (القضاءِ – النزقِ – الحدقِ - الأنينِ).

كل هذا لا يعني أن أي مقطع شعري سيتكون من جملة تامة؛ فقد يتضمن المقطع أحيانا جملتين فأكثر وهذا يرجع بالأساس إلى ما يسمى بالدفقة الشعورية للشاعر، التي تقتصر على إطالة السطر في معظم الحالات.

وعلى العموم نلاحظ في القصيدتين كيف تناغم بناء الجملة العربية مع طبيعة الشعر التصويرية والتعبيرية خاصة في مقامات الوصف، وبما أن مقام الوصف يحتاج إلى إطالة فقد وجد الشاعران هنا ضالتهما في الحال الجملة وتعدد النعوت، وهذا الطول لم يخدم المعطى الدلالي فقط، بل كان له دور كبير في تحقيق الوزن الشعري (البحر البسيط) وجرس القافية في القصيدة الأولى، وتحقيق إيقاع نظام التفعيلة في القصيدة الثانية.

ومن هنا فإن غنى بناء الجملة في الشعر المدَرَّسْ لا حدود له وهذا واضح بشكل جلي في الاِمكانات التركيبية التي توفرها اللغة والتي لم يستخدمها الشاعران. ومهما يكن من أمر فإن الشعراء يستخدمون منها مالهم به حاجة حسب قصدهم التعبيري في الشعر العمودي، أو حسب دفقتهم الشعورية في الشعر الحر.

أما بخصوص إمكانية توظيف دراسة بناء الجملة فذلك وارد بشكل كبير، خاصة في مرحلة التحليل حيث يمكن الإشارة إلى الوظائف التي توفر للقافية جرسها الموسيقي عند دراسة الإيقاع الخارجي، وهكذا يكون التلميذ قد اِستثمر معارفه اللغوية في دراسة الإيقاع ولو بشكل جرئي، كما يشكل هذا تذكيرا ضمنيا بقواعد اللغة، أما بخصوص طول الجملة فيمكن إضافته كدرس في مكون علوم اللغة من جهة واِستثماره في دراسة بنية الصورة المركبة داخل القصيدة العمودية أو دراسة المقاطع الشعرية في القصيدة الحرة وذلك في إطار مرحلة التحليل في القراءة المنهجية.

ولن يتحقق ذلك إلا عند الاِهتمام بصيغ الأسئلة الموظفة، فالسؤال هو مدار العملية التعليمية التعلمية، كما أن السؤال الجيد يعني التدريس الجيد، ومن خلال إجابة التلميذ عن هذا السؤال تتحقق كفاية معينة، ولضمان نجاعة هذا الطرح ينبغي صياغة الأسئلة المتعلقة به بدقة متناهية؛ فمثلا في المحور المتعلق بالإيقاع الخارجي للقافية نقول: ما الوظائف النحوية المهيمنة في القافية؟ ما علاقة علامتها الإعرابية بجرس القافية؟... أما في بناء الجملة فيمكن التساؤل: أين يكمن الوصف أو التصوير في القصيدة؟ ما طبيعة بنية الجملة في هذه الأبيات التصويرية؟ هل هي مركبة؟ قدم نماذج من القصيدة لهذا

التركيب؟ أيضا في الشعر الحر يمكن التساؤل: في أي مقطع تمتد الدفقة الشعورية للشاعر(ة)؟ هل اِستطاعت هذه الدفقة أن تكون جملة شعرية؟ علل جوابك؟...

بيد أن الأمر يظل خاضعا لقدرة الأستاذ الديداكتيكية وخبرته التربوية فضلا عن اِجتهاداته الشخصية في صياغة الأسئلة المتعلقة بهذا المعطى التركيبي في القراءة المنهجية للنصوص.

وعليه يمكن اِعتبار هذا محاولة لتجاوز قصور مقرر مسلك الآداب والعلوم الانسانية بالسلك الثانوي التأهيلي فيما يتعلق بالدرس النحوي، وهو في الآن نفسه خروج من رتابة الدرس النحوي عن طريق ربطه بالمعنى وجعله أكثر وظيفية.

الخاتمــــة:

مشروع البحث هذا " دراسة تحليلية تطبيقية لكتاب بناء الجملة العربية للدكتور محمد حماسة عبداللطيف " قد بلغ نهايته، ومن ثَمّ يمكنني عرض أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال دراسة هذا الكتاب الذي يعد كتابا مميزا بمحتواه القيم من جهة، وبمنهج صاحبه في معالجة بناء الجملة العربية القائم على المزاوجة بين القديم والحديث من جهة أخرى... ومن بين هذه النتائج نذكر:

- إن الكتاب يعكس توجها جديدا سار عليه د. حماسة عن طريق إنصافه لجهود القدماء في دراسة اللغة؛
- إبراز الكتاب لعلاقة المبنى بالمعنى، ودور بناء الجملة المتميز بالمرونة الفائقة في التعبير عن مقاصد المتكلمين خاصة في علاقة طول الجملة بالوصف والتصوير؛
- تبيان أن بناء الجملة بناء مرن إلا أنه يتميز في الآن ذاته بالإحكام في ترابط عناصره؛
- كل جهود القدماء في تفسير الأبنية اللغوية كانت قائمة على تصور بنية أساسية للجملة، وأن كل خروج عن هذه البنية في البناء الظاهري هو نتاج لمقاصد المتكلم؛
- تقاطع المدرسة التوليدية التحويلية مع النحاة العرب القدامى في اِفتراض بنية عميقة للغة، مع اِختلافهم في الاِصطلاح.
- إمكانية الاِنطلاق من الجانب التركيبي في قراءة النصوص الأدبية خاصة الشعرية ودوره في إبراز قدرة البناء اللغوي على تبيان طريقة تحكم الشاعر في هذا البناء ومدى مطاوعته له، وتفاعل البناء اللغوي مع النسيج الشعري للقصائد؛
- اِعتماد د. حماسة في الكتاب منهجية استنباطية محكمة، فضلا عن اللغة التقريرية المطعمة أحيانا بلغة القدماء الجزلة؛
- أهمية اِستثمار معطيات الكتاب في تدريس اللغة العربية؛
- دور اللسانيات التطبيقية من جهة والديداكتيك من جهة ثانية في بلورة تصور لتطبيق معارف الكتاب في تدريس النصوص بالسلك الثانوي التأهيلي؛
- إمكانية الخروج من نمطية الدرس النحوي عن طريق ربطه بالمعنى وتحليل النصوص؛

ويبدو لي من خلال ما سبق أن دراسة بناء الجملة العربية ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة لفهم البناء اللغوي للنصوص الأدبية وفي ذلك ربط للنحو بالمعنى بعد اِقتصار جل النحاة على الجانب الشكلي للنحو وهو الإعراب، وبذلك أعاد الدكتور حماسة للنحو حركيته بعد الجمود الذي أصابه، وذلك على

شاكلة الجرجاني(ت471هـ) الذي قام بالأمر نفسه عن طريق طرحه لنظرية النظم، وقد تبينتْ جدوى هذه الدعوى في درس النصوص الأدبية عن طريق جملة من التطبيقات على نصوص شعرية، بيد أنه لم يكن هناك مجال لتطبيق ذلك على نصوص نثرية وسردية خاصة الحجاجية منها كسبيل للكشف عن دور بناء الجملة في الرفع من القيمة الحجاجية للنص، ولربما أمكن ذلك في المستقبل القريب - إن شاء الله تعالى – بِإعتباره موضوعا شيقا للبحث والتنقيب.

المصادر والمراجع:

معاجم:

اِبن منظور؛

- لسان العرب

مجمع اللغة العربية – القاهرة؛

- المعجم الوسيط

مراجع:

اِبن عقيل؛

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحه الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل/ تأليف محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع – القاهرة، ج1-2-3-4، ط 2009م.

أحمد بوحسن؛

- العرب وتاريخ الأدب(نموذج كتاب الأغاني)، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2003.

تمام حسان؛

- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة – الدار البيضاء، 1994.

الحسن الواد؛

- في مناهج الدراسات الادبية، منشورات الجامعة – البيضاء، 1984.

حسن مالك؛

- اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، منشورات مقاربات – فاس، الطبعة الاولى 2013.

صلاح فضل؛

- مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق – المغرب، الطبعة الثانية 2013.

عبد العزيز خلوفة والمختار السعيدي؛

- ديداكتيك اللغة العربية والمقاربة بالكفايات بالسلك الثانوي التأهيلي(النظرية والتطبيق)، مطبعة l’imprimeur، الطبعة الاولى 2015.

عبد القاهر الجرجاني؛

- دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، غ.م.

عبده الراجحي؛

- التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، طبعة 2009م؛
- التطبيق النحوي، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، الطبعة الثانية2010؛
- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفية الجامعية – الاسكندرية، ط 1995م.

عز الدين اسماعيل؛

- الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة، 1967.

فاضل صالح السامرائي؛

- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر – الاردن، الطبعة الثانية 2007؛
- الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الاولى 2000.

فؤاد زكريا؛

- التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 3، 1978

قدامة بن جعفر؛

- نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عيد المنعم خفاجي، دار الكتب العالمية – بيروت، غ.م.

كريمة حليم؛

- المدخل لعلوم التربية، مطبعة آنفو برانت – فاس، الطبعة الاولى 2015.

محمد الكتاني؛

- الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث، دار الثقافة، الطبعة الاولى 1982.

محمد حماسة عبداللطيف؛

- الإبداع الموازي(التحليل النصي للشعر)، درا غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001؛
- بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 2003؛
- الجملة في الشعر العربي، مطبعة المدني – القاهرة، الطبعة الاولى 1990؛
- ظواهر نحوية في الشعر الحر(دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001؛
- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، الطبعة الاولى 1996؛

- من الانماط التحويلية في النحو العربي، مطبعة المدني، الطبعة الاولى 1990؛
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، دار الشروق، الطبعة الاولى 2000.

محمد محمد يونس علي؛

- المدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة – لبنان، الطبعة الاولى 2004.

مصطفى حميدة؛

- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الاولى 1997.

__بحوث ودراسات:__

رفاعي طه أحمد؛

- عوارض التركيب في بناء الجملة العربية دراسة نحوية في ضوء سورة البقرة، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية كلية الدراسات الإسلامية – البيضاء، قسم اللغة العربية

عادل بن أحمد بن سالم بناعمة؛

- بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، إشراف د مصطفى إبراهيم علي، 2000.

فايزة شتورة؛

- الجملة الطلبية في قصيدة "النقاط على الحروف "النزار قباني - دراسة تداولية-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص: علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر- بسكرة - كلية الآداب واللغات، تحت إشراف د فهيمة لحلوحي، 2015-2016.

محمد يزيد سالم؛

- جهود الدارسين المحدثين في دراسة الجملة العربية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية تخصص: اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الاداب واللغات، تحت اشارف الدكتورة دليلة مزوز، 2015-2014.

مؤيد مجيد حميد؛

- البحث النحوي عند الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، جامعة بغداد، كلية الآداب، تحت إشراف د. مهدي صالح الشمري، 2013.

يوسف يحياوي؛

- الجوانب التركيبية للجملة العربية في ديواني محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون(دراسة نحوية تحليلية وموازنة)، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2013.

مقالات:

أسرة تحرير موقع:" حماسة"؛

- د. محمد حماسة – سيرة ذاتية،

http://www.hamassa.com/2016/02/14/سيرة-ذاتية-للدكتور-محمد-حماسة/

حسن عبد الغني الأسدي؛

- مفهوم الجملة عند سيبويه، ملخص أطروحة الدكتوراه، /http://www.alukah.net/library/0/37164

محمود حسن الجاسم؛

- المعنى وبناء القواعد النحوية، مجلة جامعة دمشق، المجلد العدد الأول والثاني، ص 68

منيرة عبدالله الخفيجي؛

- تتبع موطن الجملة وأثره في النحو العربي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد التاسع، العدد 2، 2012، ص 639.

نعيمة سعدية؛

- الجملة في الدراسات اللغوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب واللغات - جامعة بسكرة- ، العدد التاسع 2011.

DR. TAHİRHAN AYDIN ;

- من أعلام اللغة العربية: الشاعر واللغوي محمد حماسة عبداللطيف: حياته ومؤلفاته وآراءه في الشعر وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 52:2(2011), ss. 267-290

ندوات:

الدكتور حماسة عبداللطيف؛

- ندوة: " النحوي: مدخلا للنص الشعري"، كلية دار العلوم، مصر، بدون تاريخ

كتب مدرسية:

- واحة اللغة العربية، السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلكا الآداب والعلوم الإنسانية، كتاب التلميذ، مكتب المدارس، الطبعة الثالثة 2013.

الفهرس: